صالــون غازى الثقافى العربى

سلسلة المبدعين العرب

الكتاب السابع

رائد التنوير زكى نجيب محمود

ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان

د. عاطف العراقى

- رائد التنوير زكى نجيب محمود
- ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان
- أ.د. عاطف العراقى
- الطبعة الأولى
- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
- رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٠٢٦٣
- الغلاف للمصمم معتز الرفاعى

- دار الهانى للطباعة والنشر- القاهرة

ت ٤٤٤٤٢٠٥٥

الإهـداء

إلى روح المفكر والعالم والإنسان

إلى النفس الشفافة المضيئة التى حاربت الظلام والخرافة بنور العقل والتنوير.....إلى أستاذى ومفكرى ورائدى زكى نجيب محمود. إنه الكل فى واحد، وإن كان أشباه المثقفين لا يعلمون.

إليه أهدى هذا الكتاب، وأقول مخاطبا روحه فى السماء اذكرينى ، فقد انتشر الظلم والشقاء بين بنى الإنسان

عاطف العراقى

١٥/٥/٢٠٠٧م

شكر وتقدير

يتوجه المؤلف بأعمق آيات الشكر والتقدير لجميع المؤسسات العلمية والثقافية التى اهتمت بفكر الأستاذ والمفكر والرائد زكى نجيب محمود فى حياته وبعد وفاته، وسواء كانت مؤسسات داخل مصر أم غيرها من بلدان العالم العربى والعالم الأوربى. لقد قدمت لى كل عون أثناء تأليف هذا الكتاب كما يتوجه المؤلف بالشكر الجزيل إلى زوجة المفكر الكبير الأستاذة الدكتورة منيرة حلمى.

على سبيل التقديم

د. غازى زين عوض الله

لقد حققت سلسلة المبدعين العــرب – وهــى إحــدى سلاســل إصدارات الصالون المتنوعة- نجاحاً كبيراً، ولاقت صدى واســعاً بــين أوساط المثقفين العرب، وذلك لأهمية هؤلاء المبدعين وتفردهم ودورهــم الرائد فى حياتنا الفكرية المعاصرة وغزارة إنتاجهم من جهة ولتنوع تلك السلسلة وإحاطتها بعدد كبير من هؤلاء المبدعين من جهة ثانية، ولعمــق التناول وجدية الدراسات وشمولية الاستقصاء والقدرة على قراءة أعمــال أولئك المبدعين من قبل صفوة العلماء الذين تــصدوا للتــأليف وكتابــة صفحات تلك السلسلة من جهة ثالثة.

وذلك ليس غريباً على منهج الصالون حيث إن الأصل فى تكريم المبدعين هو تكريم علمى منهجى فى المقام الأول، ولذلك نحشد عدداً من صفوة الأقلام لتناول أعمال هؤلاء المكرمين تناولاً علمياً، وتصدر بــذلك كتب الصالون.. لكن هذه السلسلة تنفرد عن سلسلة كتب الصالون بأنهــا تتناول أعمال شخصية واحدة فقط فى كتاب مستقل.

ويحمل هذا الكتاب الذى بين أيدينا رقم سبعة من تلــك السلــسلة الفريدة، وهو عن فيلسوف العروبة الراحل زكى نجيب محمود (١٩٠٥-

١٩٩٣) والذى يشرفنا أيضاً أن نكرم اسمه فى احتفالية الصالون السادسة عشرة إن شاء الله تعالى.

وإذا كنا نحتفى بمفكرنا الكبير فإننا نحتفى بقيمة عطائـه وثـراء فكره وعظمة مشواره وغزارة إنتاجه وتنوع اهتماماته، وحاجتنا الملحـة الآن إلى فكره حيث كان ينادى بالأخذ بثقافة العصر بكل ما فيها من دعوة إلى الحرية والعقل، الحرية فى العيش عيشة كريمة، والتعبير دون خوف من عوائق التفكير، ثم العقل بوصفه أساس الحضارة ، ولابد أن يـصبغ الحياة كلها بصبغته الموضوعية الحيادية.. كما تصدى لمشكلة الأصـالة والمعاصرة وأن المدار فى كليهما هو العمل والتطبيق وما يعـاش بـه.. ودعا إلى قيام فلسفة عربية مقترحـة تقـوم أولاً علـى ثنائيـة الـسماء والأرض، ونادى بأن نتحول من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء، إلـى آخر تلك الآراء التى نادى بها والتى لو أخذنا بها لكان الحال غير الحال!.

ويسعدنا أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الصديق الكبير الـدكتور عاطف العراقى حكيم العرب والتلميذ النجيب للرائد الراحل.. فهو الأقدر على إضاءة دور أستاذه وتقديم تجربته والإحاطة بمسيرته الحافلة، وسرد ذكرياته المتعددة معه، فله الشكر مقدماً وكثيراً، ونتمنى للقارئ العزيز أن يجد فى تلك الأوراق ما يمتع عقله ويسمو بوجدانه...

د. غازى زين عوض الله

تصدير عام

غير مجدٍ فى يقينى واعتقادى إهمال الدور الرائد والحيوى الـذى قام به زكى نجيب محمود. إن الدور الذى قام به طوال حياته لا يمكننـا إهماله، إذ إن دوره فى مجال الفكر العربى لا يقل عن الدور الذى قام به أعظم المفكرين فى حياتنا الحاضرة.

لقد احتل زكى نجيب محمود مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر العربى المعاصر. كان مفكراً من طراز ممتاز، ترك لنا العديد مـن البـصمات القوية البارزة فى مجال الفكر العربـى بفروعـه المختلفـة واتجاهاتـه المتعددة. بل إننا نراه مهتماً بمجالات فكرية أخرى لا تقل عن اهتماماتـه بالفكر العربى الحديث.. ومن بينها " التجريبية العلميـة" أو " الوضـعية المنطقية"؛ والفنون والآداب إلى آخر تلك المجالات.

فلابد أن نضع فى الاعتبار أنه من أوجب الواجبـات علينـا أن ندرس فكره، ونستمع جيداً إلى الحكم الخالدة التى تركها لنا؛ ففكر زكـى نجيب لم يكن معبراً عن الانقطاع والإهمال فى زوايا النسيان، بل كـان

معبراً عن التواصل... إن فكره يعد معبراً عن القيم الخلاقة وعن كل ما هو رفيع. إنه مفكر عربى، ولكنه كان مستفيداً من الروح الغربية.

لقد تسلح زكى نجيب بالثقافة الموسوعية الشاملة، وقبل دراسته للدكتوراه، وجمع بين الأدب والفلسفة برباط وثيق، فكان مفكرا بروح أدبية، وكان أديباً من خلال روح فلسفية، وأضاف إلى اهتماماته العلمية والفكرية بعدا فلسفياً وأدبياً.. فتح أمامنا زكى نجيب محمود كثيراً من الأبواب المغلقة والتى كانت موصدة تماماً قبل أن يكشف عنها النقاب مفكرنا الشامخ العملاق، وكان مدافعاً باستمرار عن العلم والاتجاه العلمى، عن الأخلاق والفضائل الخلقية، عن الإنجازات والتطبيقات التكنولوجية، إن هذا يتضح لنا تماماً إذا قرأنا بدقة ما كتبه فى قصة نفس، وقصة عقل، وحصاد السنين.. إن زكى نجيب محمود يبدو شامخاً كالهرم، وإذا كان كل إنجليزى لا يجهل شكسبير، وكل فرنسى يعرف تماماً فولتير، فيجب علينا كعرب أن يعرف كل منا زكى نجيب محمود، إنه البوصلة الكاشفة والضياء المستديم والشعلة الفكرية الخالدة.. نقول هذا ونحن نضع فى

الاعتبار أننا كعرب قد أصبحنا فى حالة صعود إلى الهاوية وأصبح الفكر عندنا وكأنه من الأشياء الكمالية غير الضرورية، فيجــب علينـــا إذن أن ندرس كل كلمة كتبها زكى نجيب محمود، وكل دعوة دعانا إليها، وهــل يمكن أن نقلل من كتب خالدة قامت حولها المعارك الفكرية؟!.. ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر، المنطق الوضعى، وخرافــة الميتافيزيقـــا، ونحو فلسفة علمية، وشروق من الغرب، وجنة العبيط، إن هذا يعد فرض عين إذا أرادت أمتنا العربية لنفسها طريق التقدم.

لكن ماذا نفعل إزاء أناس عبروا عن أفكارهم من خلال مناصبهم تارة وكثرة ضجيجهم تارة أخرى، ويقينى أن زكى نجيب محمود لو كان قد عاش حياته فى البلدان الأوربية لكان الحال غير الحال، ولكــن مـــاذا نفعل أمام أناس يريدون الارتماء فى أحضان فوائد البترول؟ ماذا نفعــل لأناس تكونت ثقافتهم المزيفة مــن كــل مـــا هــو متــصل بالخرافــة والأساطير؟!! لقد درس زكى نجيب محمود كثيراً من القضايا، وخـــاض المعارك الأدبية والفكرية من أجل رفعة العلم وتطبيقاته التكنولوجية ومن

أجل الدفاع عن النور والتنوير، والنظر فى سخط إلـــى الظـــلام وثقافـــة الظلام، وخرافة الظلام وهل يمكن أن ننسى معاركه حول الأفهام الخاطئة بالنسبة للغزو الثقافى والهجوم على الحضارة الحديثـــة، والخلـــط بـــين الجوانب العلمية والجوانب الإنسانية؟ كلا... ثم كلا... لقـــد شـــق زكـــى نجيب محمود طريقه وسط الأشواك والصخور، وتسلح بروح نقدية مـــن النادر أن نجدها فى تاريخ العرب المعاصر، فإذا كان زكى نجيب محمود قد تحققت له الشهرة ، فإنها كانت نتيجة منطقية لكفاحه الفكرى ولم تكـــن من منطلقات سياسية، إذ لابد أن نضع فى الاعتبار أن جزءا من شـــهرة طه حسين قد تحققت لأسباب سياسية، وما يقال عن طه حسين يقال أيضاً عن عباس العقاد، لم تكن شهرة زكى نجيب محمود آتيـــة مـــن منـــصب إدارى أو سياسى فالكل يعلم تماماً أن زكى نجيب محمود لم يتـــول فـــى حياته منصباً سياسياً أو منصباً إدارياً، ونحن نعلم تماماً أنه يوجد تناقض حاد بين المكانة العلمية والمنصب الإدارى، ولعل هذا ما أدى بزكى نجيب محمود إلى أن يتحدث عن " عملقة الأقزام" فالكل كان يسعى إليـــه لكـــى

يستفيد من إشعاعات فكره الخصب وثقافته الغزيرة وليس مـــن منطلـــق المنصب الإدارى الذى لم يحرص عليه إطلاقاً زكى نجيب محمود طوال حياته وحتى أظلمت الدنيا فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣ حـــين تـــم الإعلان عن وفاة الهرم الشامخ والمدافع عن التنوير فى العصر الحـــديث زكى نجيب محمود.

كان زكى نجيب محمود قمة فى التواضع، فرغم علمـــه الغزيـــر ووقوفه على هرم الثقافة العربية فى عصره إلا أنه لم يزعم لنفسه أنه يعد فيلسوفا فى الوقت الذى كنا ومازلنا نسمع عن الصغار والأقزام ومتخلفى العقول والعياذ بالله، إنهم يعدون أنفسهم فلاسفة حـــين يكتبـــون... إنهـــم يتحدثون عن مشروعات لهم وهى مشروعات لا تتصل بالفكر من قريب أو بعيد، مشروعات وهمية زائفة خادعة.

نعم... لم يزعم زكى نجيب محمود لنفسه أنه يعد فيلسوفا بل إنه يتحدث بإكبار وإجلال واحترام عن أساتذته وزملائه... أذكر أنـــه كـــان يتحدث أثناء لقائى به فى منزله عن عديد من الشخصيات ويركز على أن

يبين لى أثرهم فى تشكيل عقول ووجدان الأمة العربية، من أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد أمين، وطه حسين، والعقاد، وصديقه الصدوق توفيــق الحكيم... فهل يعلم ما قاله هؤلاء الأشباه الذين أصيبوا بتــضخم الأنـــا، والذين يكتبون فى كل شئ دون فهم من جانبهم لأى شئ.

لقد خاض زكى نجيب محمود العديد من المعارك الفكرية بعد أن تسلح بشجاعة منقطعة النظير، وأحسب أننا فى كل عام وحتى يــرث الله الأرض ومن عليها، نعتقد أننا سنكون محتاجين باستمرار إلـــى التــذكير بالحكمة الخالدة التى قالها زكى نجيب محمود، إلى الكلمات الشجاعة التى صدرت عنه. سنكون فى حاجة باستمرار مهما امتد بنا الزمان أو طـــال، إلى التمسك بدروس زكى نجيب محمود وما أعظمها، ومـــا أعمقهـــا وإن كان أكثر الجاهلين فى بلادنا لا يعلمون، منهم أناس انتقلـــوا إلـــى الـــدار الآخرة، ومنهم فريق مازال يعيش بيننا... فريق من الأشـــباه والأقـــزام وناقصى العقل والشعور، والذين تخصصوا فى الهجوم على زكى نجيب محمود دون فحص من جانبهم لكتابات الرجل الفكرية والأدبية والثقافيـــة على وجه العموم.

نقول ونكرر القول بأنه يعد واجبا علينا الاستفادة من دروسه فى المدارس والجامعات، وفى كل جوانب حياتنا الفكرية والثقافيــة، بحيــث تكون أفكاره هى البوصلة والمرشد والدليل فى دستورنا الثقافى... لقد آن الأوان أن نتحدث عن أيديولوجية عربية، وبحيث تستند فى أكثر جوانبها على فكر زكى نجيب محمود الحضارى والنقدى المستنير.

كان الدكتور زكى نجيب محمود شعلة نشاط. إنه لا يكل ولا يمل. لقد حاضر بالعديد من الجامعات العربية وغير العربية. حاضر بجامعــة الكويت وجامعة الإمارات العربية المتحدة وغيرها، كما حاضر بالعديد من الجامعات الأمريكية، وعمل مستشاراً ثقافياً بواشنطن. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه " نحو فلسفة علمية" كما حــصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٥ وحصل أيضاً على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو أول مصرى يحــصل علـــى هــذه الجائزة. وحصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ومجهودات أستاذنا زكى نجيب محمــود فـــى مجــال الترجمـــة والتأليف لا حصر لها ومن بين كتبه المترجمة علـــى ســـبيل المثـــال لا

الحصر، الجزء الأول والجزء الثانى من تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل ، والمنطق للفيلسوف الأمريكى جـون ديـوى، وعدة أجزاء فى قصة الحضارة للمـؤرخ الأمريكـى ول ديورانـت. وترجماته آية فى الأمانة والدقة. إنه أفضل عربى معاصر يستطيع النقـل من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. أذكر أن نفراً من الحاضرين لندوة عباس العقاد الأسبوعية، سألوا العقاد عن أفـضل مـن يقـوم بترجمـة مسرحيات شكسبير من اللغة الإنجليزية إلى العربية، فأجاب العقـاد دون تردد. إنه زكى نجيب محمود. وصدق عباس العقاد فى هذا القول.

وقد اهتم رائدنا زكى نجيب محمود بمجال التـأليف فـى مجـال الأدب والفلسفة. ومن منا لا يذكر قصة الأدب فى العالم وقصة الفلـسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة وديفد هيوم وبرتراند رسل ونحو فلـسفة علمية وحياة الفكر فى العالم الجديد وموقف من الميتافيزيقـا والمنطـق الوضعى وشروق من الغرب وجنة العبيط والثورة على الأبواب وبـذور وجذور وثقافتنا فى مواجهة العصر وقشور ولباب والشرق الفنان وتجديد

الفكر العربى، والمعقول واللامعقول وقصة نفس وقصة عقل وفى حياتنا العقلية ومجتمع جديد أو الكارثة وقيم من التراث وهذا العــصر وثقافتــه وغيرها من عشرات الكتب التى لا يستغنى عنها مثقف عربى من قريب أو من بعيد. إنها كتب رائدة خاض من خلالها كثيراً من المعارك الفكرية وكلها تدعو إلى التنوير، تدعو إلى ثقافة النور والعلم والعقل، تبدد الظلام من أمامنا ويصلح كل فصل من فصولها لأن يكون دستوراً لنا فى حياتنا الفكرية حاضرها ومستقبلها.

من أجل هذا كله كنت سعيداً حين تتلمذت وما أزال على يديه منذ السنوات الأولى بكلية الآداب. حين اشتركت معه فى العديد من النــدوات الفكرية المهمة. حين أهديت له كتاباً من كتبى، وهو ثــورة العقــل فــى الفلسفة العربية. حين أتشرف باستقباله لى فى منزله بين الحين والآخــر، وحتى الأيام الأخيرة من حياته.

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود يفرق بين المتخصص فــى مجال من مجالات العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية والكيميائية، وبــين

المثقف. وإذا كان يدرك عن اقتناع دور المثقف فى المجتمع، فإنه قد طبق ذلك على نفسه . لقد خاض رائدنا العديد من المعارك الفكرية – كما قلنا– وفى بينها معركة العلمانية ومعركة الحجاب، ومعركة أخـلاق القريـة، ومعركة حرية الميتافيزيقا، والأصالة والمعاصرة، والتطـرف الـدينى، والمناقشات البيزنطية، وحقيقة تدريس الفلسفة فى مدارسنا وجامعاتنـا... إلى آخر المعارك الفكرية والتى تكشف لنا عـن عقليـة رائـدة، عقليـة مستنيرة، قل أن نجد لها نظيراً على امتداد تاريخنـا الفكـرى العربـى المعاصر.

احتل رائدنا وأستاذنا الكبير الدكتور زكى نجيب محمـود مكانـة كبرى فى تاريخ الفكر العربى المعاصر إنه يعد علامة وضاءة مشرقة فى تاريخنا المعاصر ، ولا يمكن لأى دارس لهذا الفكر العربى المعاصر أن يتغافل عن الدور الرائد، الدور الحيوى البناء الذى قام به مفكرنا العملاق ورائدنا الشامخ. لقد دخل تاريخ فكرنا المعاصـر مـن أوسـع الأبـواب وأرحبها. ومن واجبنا أن نهتم كل الاهتمام بدراسة أفكاره وآرائه. إنهـا

أفكار بناءة ، أراء شامخة ناضجة من النادر أن نجد لها مثيلاً فى عالمنـــا العربى المعاصر من مشرقه إلى مغربه، من محيطه إلى خليجه.

لقد اهتم مفكرنا العظيم زكى نجيب محمود بالفكر العربى علـــى امتداد عصوره، أخلص إخلاصاً لا حد له لقضيته الكبرى، قضية الأصالة والمعاصرة،. اهتم اهتماماً بالغاً بالإسهام فى تنـــشيط حركـــة الترجمـــة لاعتقاده بأنه لا تنوير دون دراسة آراء الآخرين. لا تنـــوير إذا أغلقنـــا النوافذ والأبواب، بل لابد من فتح النوافذ حتى نجد الهواء المتجدد، نجـــد الفكر الحر الطليق. نجد الحركة لا السكون. نجد النور لا الظلام.

ولم يكن غريباً أن تهتم أكثر دول العالم بدراسة آرائه واتجاهاتـــه الفلسفية والأدبية الكبرى. فكم من الرسائل تم إعدادها لدراسة أفكاره. كم من الكتب تم تأليفها للتعرف على أفكاره، وما أعظمها من أفكار. لقد أسهم إسهاماً كبيراً فى تنشيط الحركة النقدية. لقد أثار العديـــد مـــن المعـــارك الفكرية. آمن بأن دور المثقف، لابد أن يكون دوراً إيجابياً لا سلبياً.

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذا ومفكرا وأديبا. إنك لن تستطيع فهم لب فكره ولب مذهبه إلا إذا قرأت كل ما كتب سطرا سطرا بل كلمة كلمة

لقد دخل كما قلنا تاريخنا الفكرى والثقافى المعاصر من أوسـع الأبـواب وأرحبها لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور وترك لنا ثروة فكريـة فلسفية أدبية غاية فى العمق، ولن يستطيع مفكر أو أديـب أن يفعـل أو يتغافل عن هذه الثروة التى تعد من أغنى كنوز العالم. إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار، إبداع قلم يعلم تماما أثر الكلمة المكتوبة وخطرها نعم إنه يعد عظيما بين العظماء. عملاقا، والعمالقة تبدد كلماتهم وأقوالهم ظلام الجهل سعيا وراء نور المعرفة ، نور العقل، نور الـضياء الـذى يهدينا فى حياتنا وإذا اختلف البعض حول فكره وآرائه فإن هذا الاختلاف فى حد ذاته يدلنا على أن أفكاره تعد حية وليست أفكارا ميتة، إن الأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكـار المـسافة بينها وبين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن. إنه رائدنا ومفكرنا العظيم إنه زكى نجيب محمود الذى تعد كتاباته دعـوة إلى التمسك بتيار العصر والحضارة تيار التجديد تيار العقلانية.

عار علينا كعرب إذا تغافلنا عن الدور الرائد والحيوى والخـلاق والذى قام به مفكرنا الكبير زكى نجيب محمود.

لقد تضمن كتابنا الصغير مجموعة من الفصول تدور حول حياته الفكرية ونماذج من بعض آرائه وتحليلات لبعض أفكاره من خلال دراسة بعض كتبه، كما كتبنا فصلاً عن علاقتنا الفكرية بالرجل رائداً وإنساناً، وذكرنا بعض مؤلفاته.

نرجو بعد هذا كله أن نكون قد قمنا بواجبنا نحو رجل رحل عن دنيانا بجسمه، رجل نعى الدنيا وصام عن الحياة. وإذا لم يكن بالإمكان إهداء هذا الكتاب للرجل فى حياته، فإننا أهديناه إلى روحه فى عالم الخلود، عالم السماء، حين تلتقى الأرواح بالأرواح والله هو الموفق للسداد.

المؤلف

أول فبراير عام ٢٠٠٧م

(ذكرى مولد مفكرنا الراحل)

الفصل الأول

زكى نجيب محمود... الإنسان كما عرفته.

لقد كنت ومازلت أحاور نفسى قائلا: هب أننى لم ألتق بالرجـل والإنسان زكى نجيب محمود. لقاء التلميذ بالأستاذ داخل قاعات الـدرس بالجامعة وخارجها. فهل كنت سأصل بمفردى إلى الأفكار التـى أعتقـد بصوابها وأرددها كل يوم وفى كل مناسبة؟ وسرعان ما أجيـب نفـسى قائلا: لا. لقد وصلت أفكار معلمى زكى نجيب محمود إلى أعمق أعمـاق نفسى وخلجات عقلى ووجدانى وبحيث لا أتردد فى القول اليـوم مؤكـداً على ما قلته منذ عشرات السنين بأننى أعتقد اعتقاداً لا يخالجنى فيه أدنى شك بأن بصمات الدكتور زكى نجيب محمود على فكرى وعقلـى تعـد بصمات واضحة وبارزة وبحيث لابد لى من القول بأن زكى نجيب هـو معلمى ورائدى، وبشرط أن يفهم ذلك فى حدود الاتفاق والاختلاف بيننا.

إننى أشهد أن الرجل قام بصياغة عقلى صياغة جديدة تماماً. لقد عشت فى الريف سنوات طوال وكنت أعتقد بوجود الأشباح والعفاريت بين المقابر، وكنت أخشى المرور بينها وخاصة أثناء الليل. وحين بدأ الدكتور زكى نجيب محاضراته أدركت أننى كنت أعيش فى وهم كبير وبدأت الدخول فى عالم جديد تماماً، إنه العالم العلمى. العالم القائم على التجربة وعلى العقل. وليس العالم الذى كنت أعيش فيه، عالم الأشباح والعفاريت.

كنت أحاور الرائد والمعلم داخل قاعات الدرس حتى تكشفت أمامى مجالات جديدة تماماً لم أكن أعرف عنها شيئاً. ولم يكن الرجل يضيق بحوارى وقد تعلمت منه فن الحوار. الحوار الهادئ الذى يستند إلى العلم والمعرفة ولا يعتمد على الخطابة والبلاغة والإنشاء. لم تصدر عن الرجل المعلم والإنسان كلمة نابية واحدة، بل كان الحوار يستند إلى مجموعة من افتراض الفروض ثم التوصل إلى مجموعة من النتائج التى تعد بالغة الأهمية. والتى ظلت حتى اليوم محفورة فى عقلى ووجدانى.

نعم إننى تعلمت منه أنه لابد من وجود أرضية مشتركة كأســاس للحوار، وإلا ستكون كمن يتكلم على موجة غير الموجة التــى يتحــدث عليها الآخر. وإذا اختلفت الموجة فإن الحوار لن يكون مثمراً، بل سيكون كحوار الطرشان، والذين لا يسمع الواحد منهم ما يقوله الآخر.

ولم يكن وقت الدرس الجامعى كافياً للحوار مع الرائــد والمعلــم زكى نجيب محمود. والاستزادة من علمه الذى وجدته بحراً على بحــر. فوجدت أنه من الضرورى أن أسعى إلى اللقاء بالرجل خــارج قاعــات الدرس وعلى وجه الخصوص فى منزله.

وقد سعدت بذلك سعادة بلا حدود. سعادة قصوى. وكنــت أقــول لنفسى لقد تحقق أقصى ما أتمناه أن ألتقــى بالمنــارة العلميــة الــشاهقة الارتفاع. (١)

(١) يمكن الرجوع إلى كتابنا الذى أشرفنا عليه وقمنا بالتصدير له عــن زكــى نجيب محمود (دار الوفاء- الإسكندرية)

وراجع الحوار الذى أجرته معى الأستاذة سلوى العنانى ونشر بجريدة الأهرام بالقاهرة

ولم تنقطع الصلة العلمية بينى وبين أستاذى رغم عملى فترة من الزمان خارج القاهرة وبين الوجه البحرى والوجه القبلى لقد كانت الصلة العلمية تتمثل فى صور عديدة من بينها قراءة كل ما يكتبه زكى نجيب من الكتب والمقالات وكنت أرى أنها خير ما يهدى الإنسان فى حياته. الإنسان فى كل زمان وكل مكان. إذ إنها صادرة عن عقل مبدع ومعبرة عن ذكاء بغير حدود.

وبعد عملى بالجامعة أصبح الطريق ممهداً تماماً لأن ألتقى بالرجل وأجد لديه الإجابة عن العديد من الأسئلة والقضايا المثارة والتى كنت أطرحها على نفسى وأجد نفسى عاجزاً عن الإجابة عليها بسبب الضباب الذى يحيط بأكثر الآراء والتى يحسبها الإنسان الإجابة المقنعة عما يدور فى ذهنه من تساؤلات فى الوقت الذى قد تكون فيه بعيدة تماماً عن الصواب. أبعد من المسافة بين الجن والإنس. أو بين القطب الشمالى والقطب الجنوبى أو بين المشرق والمغرب.

لقد وضع الرجل الإنسان الدكتور زكى نجيب محمود يدى على الطريق أو المنهج الذى على أساسه أستطيع الوصول إلى بر الأمان.

أستطيع التوصل بمقتضاه إلى الرأى الصائب وسط ضجيج الشهرة والطبل الأجوف.

كنت سعيداً حين وجدت أنه من الضرورى والواجب على أن أهدى إليه مؤلفاً من مؤلفاتى. وهو كتاب ثورة العقل فى الفلسفة العربية. ونظراً لأن زكى نجيب محمود يمثل خير تمثيل دور الأستاذ وكما ينبغى أن يكون الأستاذ، فإنه كان فى قمة السعادة حين علم بأن هذا الكتاب. كتاب ثورة العقل. كان من أكثر الكتب انتشاراً بين القراء والمثقفين وبحيث تكررت طبعاته فى أوقات متقاربة. بل كان أكثر منى سعادة.. ألم أقل لكم أيها القراء الأعزاء بأن زكى نجيب محمود هو الرائد والأستاذ الذى أدين له بالفضل طوال حياتى وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وإلى أبد الآبدين.

تعلمت من زكى نجيب محمود فى حوارى معه بمنزله ومن خلال قراءتى لأفكاره فى كتبه وما أعظمها وما أروعها، العديد من الدروس من بينها رعاية الأستاذ لتلميذه. إن عطاء زكى نجيب لى يعد عطاء بغير حدود. وقيامه بتشجيعى يقف الإنسان أمامه فى انبهار وإعجاب. فالصلة

بينى وبين أستاذى لم تنقطع يوما واحداً وكم كان يطلب منه الكتابة فـــى بعض الموضوعات وترشيح من يراه مناسبا للكتابة. فكان لا يتردد فـــى نصح من يطلبون منه ذلك. أن يبادروا بالاتصال بى للكتابة وأخذ الـــرأى حول هذا الموضوع أو ذاك من الموضوعات التى تتعلق بقضايانا الفكرية والثقافية وما أكثرها وكنت أقول لنفسى وأذكر له أيضا فـــى لقـــائى بـــه بمنزله. إن هذا يعد بالنسبة لى شرفا لا أستحقه. فأين علمى من علمه. أين فكرى من فكره. وكم كان يقول عنى إننى أعد امتداداً لفكره ومنهجه. كما كان يقول إن بعض ما أقدمه يذكره بما كان يفعله فى شبابه.

فهل نجد الآن فى مصر أستاذاً يفعل مثلما فعل زكى نجيب فى مجال العلاقة بين الأستاذ والتلميذ. نعم كان يقوم بتشجيعى وفتح الأبواب أمامى ولكنه لم يكن يتردد فى توجيه النقد إذا أدرك أنه يعـــد ضــــرورياً لتوجيهى وتعديل مسارى. قدمت له فى بداية عملـــى بالبحـــث الجـــامعى وكنت يومها طالباً من طلابه. بحثا عن الواحدية المحايدة عند ســـبينوزا ووليم جيمس وبرتراند رسل. فقرأ البحث كلمة كلمة وكتب على البحـــث قائلا: سياقك واضح يدل على فهمك للموضوع ولكن كان ينبغى أن تذكر

المراجع عند كل صفحة. وكنت من جانبى سعيداً غاية السعادة لإعجابه بالبحث من جهة. واهتمامه بتوجيه النقد إلىّ من جهة أخرى.

وقد أدركت من خلاله أهمية القراءة. والقراءة الواعية المستمرة ومن المؤسف له أننا نعيش الآن وسط أشباه يكتبون أكثر مما يقرأون. لقد تعلمت منه أن الإنسان ينبغى أن يقرأ أكثر مما يكتب. وهذا درس من الدروس العظيمة ينبغى أن ينظر إليه أبناؤنا بعين الاعتبار. فمن يتأمل فى الإنتاج الفكرى الذى يصدر عن مطابعنا فى الزمن الذى نعيش فيه. يدرك تمام الإدراك أن أكثره لا يستحق أن يقف عنده الإنسان. وحينما كان يطلب منى إبداء الرأى حول كتاب من الكتب كنت أتذكر باستمرار دروس زكى نجيب محمود والتى تتبلور حول أمانة الكلمة وخطورة الكلمة المطبوعة. وبعد قراءتى لأكثر ما يصدر عن مطابعنا العربية كنت أقول لنفسى: إلى الجحيم وصناديق القمامة أيتها الكتب التافهة وبئس المصير.

وقد تعلمت من زكى نجيب محمود أهمية أن يكون الإنسان متسلحاً بالشجاعة الفكرية. أهمية أن يكون الإنسان مثقفاً. وأن التخصص فى علم من العلوم لا يعنى بالضرورة أن يكون صاحبه مثقفاً. فالمواطن

الحقيقى هو من يضيف إلى تخصصه، اهتماماً بالمعرفة الإنسانية الشاملة من آداب وفنون وقضايا ثقافية وجمالية. أدركت من خلاله ضـــرورة أن يكون لكل فرد منا موقفه. وأنه لابد أن يبادر بإعلان رأيه والدفاع عنـــه، دون السخرية من آراء الآخرين. نعم تعلمت منه ذلك لأننى أدرك تمامـــاً أن رائدنا زكى نجيب قد خاض العديد من المعارك الفكرية [1] والتى تعد على درجة كبيرة من الأهمية. لم تكن تلك المعارك من نوع المعارك التى تثار الآن. المعارك المفتعلة والتى تكشف عن درجة كبيرة من التخلـــف العقلى ونقص فى الذكاء بل إنها كانت معارك تحتل درجة كبيـــرة مـــن الأهمية وستظل أهميتها باقية أبد الدهور وبحيث نقول إننـــا لا نتـــصور تاريخا فكريا لمصر المعاصرة إلا إذا قمنا بتسجيل كل أقوال زكى نجيب حول تلك المعارك الفكرية. فما أعظمها وما أروعها.

---

(١) رحل زكى نجيب عن عالمنا قبل تقديمى لمحكمة جنايات المنصورة فى الخـــامس عشر من شهر مايو عام ١٩٩٥. وكنت أول أستاذ للفلسفة فى تاريخ مصر يـتم تقديمه فى قضايا فكرية أمام محاكم الجنايات.

لقد أدركت من خلال الدروس التى تعلمتها مــن زكــى نجيــب محمود أهمية الاستفادة من الندوات الفكرية وعلى رأسها نــدوة عبــاس محمود العقاد وخاصة أننى أعلم مقدار الحب الذى يكنــه زكــى نجيــب للعقاد. لم أتخلف عن حضور ندوة من ندوات العقاد إلا فى بعض الحالات القليلة. ومن المؤسف له أن أكثر من يتحدثون عن العقاد وندوته الفكريــة الأسبوعية. كان من النادر أن ألقى واحداً منهم. ألا يعد هذا دلــيلا علــى الكذب الذى ساد أوساطنا الثقافية. ويشاء القدر أن أعمل بأســوان ثــلاث سنوات ولم أتخلف خلالها عن حضور ندوة من ندوات العقاد والتى كانت تتم مرتين كل أسبوع طوال شهر يناير من كل عام. لقد أدركــت أهميــة حضور ندواته من خلال حديث زكى نجيب محمود عنها.

وما يقال عن ندوة العقاد، يقال عن غيرها من المؤسسات الفكرية الأكاديمية. فإن حديث الدكتور زكى نجيب عن الأب جورج قنواتى بكــل احترام وتقدير . أدركت من خلاله الدور العظيم والرائد لــلأب قنــواتى مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينكان بالقاهرة، وكنت حريــصاً

على الاستفادة من مكتبة الدير والتى تعد علـــى رأس مكتبـــات الـــشرق الأوسط من حيث الدقة والنظام وشمول المعرفة. وقد قضيت بالدير خمس سنوات تلميذاً ومتعلماً وراغباً فى القراءة المستمرة (منذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٤).

لقد تكشفت لى عوالم جديدة– كما قلت – من خلال صلتى العلمية المستمرة بزكى نجيب محمود. لقد أدركت من خلاله أهمية العزلة والبعد عن المناصب الإدارية الزائفة. كان ينتهى من محاضراته بالجامعة وبعد دقائق قليلة يكون داخل منزله قارئاً متأملاً. لقد أثر هذا السلوك فى نفسى حتى الآن وخاصة بعد أن أصبح الناس غير الناس، وتلاشى وجود أخيار الناس أمام جحافل الأشرار.

وأكثر مواقفى من التراث قد تعلمتها من زكى نجيـــب محمـــود. وكنت بعد قراءتى لما يكتبه أتناقش معه وأدرك بعد المناقشة أن العيـــب إذن ليس من الضرورى أن يكون فى التراث. ولكن العيـــب فـــى الفهـــم الخاطئ للتراث.

فى تراثنا مساحات مظلمة. فى تراثنا كم هائل من الخرافات تزيد عن عدد سكان الدول العربية، ولكن لا يصح أن ننكــر وجــود النــور والتنوير داخل بعض كتب التراث، وهل يمكن أن نقلل مــن المــساحات المضيئة عند إخوان الصفا وعند ابن رشد وعند أبى العلاء المعرى وابن الرومى والمتنبى. أليست أقوال هؤلاء أفضل ألف مــرة مــن الكلمــات المتقاطعة التى نجدها عند أناس من أشباه الكتاب والأدباء فــى تاريخنــا المعاصر، منهم من قضى نحبه ومنهم من لم يزل على قيد الحياة. وقــد قاموا بتسويد آلاف الصفحات التى تكشف عن جهلهم الفاضح.

كنت أرجع إلى زكى نجيب محمود قبل إقدامى على القيام بــأى عمل من الأعمال الفكرية، لأننى أعتقد أن زكى نجيب محمود يمثل النور والضياء، يمثل البوصلة الفكرية التى يجب أن يهتدى بها كــل مــشتغل بالفكر وقضاياه، بالثقافة ومشكلاتها. وحينما طلب منى إلقاء محاضرة عنه بقصر الثقافة بدمياط فى مناسبة مرور ثمانين عاماً على مولده، سعيت إلى منزله للاستفسار منه عن بعض الإشكالات التى قد تثار عن طريق أسئلة المستمعين ومن بينها علاقة الوضعية المنطقية بتجديد الفكر العربى، أكد

لى على ما كنت أعتقده من أنه لا تعارض بينهما وهذا على الخلاف من أقوال أشباه الباحثين وقد حدث ما توقعته، فقد جاءت أكثر الأسئلة حـــول هذه الإشكالية سواء فى محاضرتى عنه عام ١٩٨٥م، أو فى عام ١٩٨٦ أثناء حفل تكريم هذا الرائد والأستاذ العظيم بدمياط وكان حاضـــراً حفـــل التكريم، ولم تشهد دمياط فى تاريخها القديم وتاريخها الحديث، حدثاً ثقافياً، مثل الحفل الذى تم يوم تكريم هذا الرائد والأستاذ العظيم وقد سعيت إلـــى منزله للتهنئة بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد ذلك بأيام خاصة وأنه يعد أول مصرى يحصل على تلك الجائزة الكبرى. ولازلـــت أذكر قوله بأن منحه هذه الجائزة يدل تمام الدلالة على أن العروبة ثقافـــة قبل أن تكون سياسة.

تعلمت من زكى نجيب محمود ضرورة أن يهتم المثقف بقـــراءة الكتب الأدبية وكم توجد خصائص مشتركة تجمع بـــين الفكـــر الفلـــسفى والفكر الأدبى. نجد هذا عند القدامى أمثال المتنبى وأبى العلاء المعـــرى، وابن الرومى وأبى حيان التوحيدى فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، وعند كل من يمثلون أدب التفسير وليس أدب التعبير، ونجده عند المحدثين من أمثال زكى نجيب محمود وول ديورانت صاحب قصة الحضارة، وطـــه

حسين الرائد الأول للتنوير فى مصرنا المعاصرة وعالمنا العربـــى مـــن مشرقه إلى مغربه.

وكم كان الدكتور زكى نجيب حريصاً على أن يكشف لى الفــرق بين الريادة الحقيقية، والريادة الزائفة الكاذبة. إن طه حسين لم يصبح طه حسين إلا لأنه فعل واجتهد وكافح حتى أصبح طه حسين، وما فعله طــه حسين، نجده عند العقاد وغيرهما من الرواد الحقيقيــين. أمـــا الآن فقــد أصبحت القدوة غير القدوة. الريادة غير الريادة.. لقد أصبحت القدوة عند فتاة اليوم راقصة من الراقصات. أصبحت القدوة عند شباب اليوم لاعبـــاً من لاعبى كرة القدم وإن هذا يعد دليلا على أننا نهتم بأرجلنا قبل أن نهتم بعقولنا. أليس هذا من نكد الزمان.

ومن أعظم العبارات التى تتعلق بالمجال الذى نتحدث عنـــه الآن العبارة التى ذكرها زكى نجيب فى آخر كتابه حصاد الـــسنين (١). إنهـــا عبارة يجب أن نقف عندها ونتأمل فى كل كلمة من كلماتها. يقول زكـــى نجيب محمود (ص ٤٢٤-٤٢٥): إن عندنا وعند أمثالنا ممـــن ضـــحلت معلوماتهم الصحيحة، فقل وعيهم بنفس المقدار، تكثر عملقة الأقزام، إذ

(١) نرجو الرجوع إلى تحليلنا النقدى للكتاب فى فصل من فصول هذا الكتاب

ليس على القزم الطموح برغم جهله وقصوره إلا أن يستخدم وسائل الإعلام لصالحه، فما أسرع ما يتحول فى خيال الجماهير وفى وهم الحاكمين إلى عملاق حتى يتحول إلى أن يكون عالماً بغير علم ، أديباً بلا أدب، أى شئ بغير شئ. وتتصل بعملقة الأقزام عملية أخرى قد تستوجبها الظروف فيلجأ إليها القزم الطموح. وهى عملية يجوز تسميتها كما أسماها صاحبنا ذات يوم فيما كتب." قرصنة فى بحر الثقافة". فالقراصنة يخطفون أموال ضحاياهم وبضائعهم لتصبح ملكاً لهم، وكذلك يفعل قراصنة الثقافة فى حياتنا . فليس المهم عند أحدهم أن يقوم هو بالعمل ، بل المهم هو أن يضع عليه اسمه اغتصاباً.

أذكر أننى تحدثت مع معلمى زكى نجيب طويلا حول هذه العبارة وكم ذكرت له مجموعة من الأسماء المشهورة والذين يدخلون فى مجال القرصنة، ولا أجد داعياً الآن لتحديد أسمائهم أو الإشارة إليهم. كنت أتحدث مع زكى نجيب عن الأساليب الملتوية والتى من خلالها يحاول أشباه المثقفين ، التأكيد للجمهور بأنهم من المثقفين، وذلك على الرغم من عدم وجود صلة بينهم وبين الثقافة من قريب أو من بعيد، فالثقافة منهم

براء. كنت أتحدث معه عن ضرورة وجود محاكم للغش الفكرى، وكـأن بطوننا ومظهرها الخارجى أهم لدينا نحن العرب، من عقولنـا وفكرنـا ووجداننا.

نعم لقد استفدت من زكى نجيب استفادة بغير حدود. استفدت منه مجموعة من الآراء حول قضية الأصالة والمعاصرة، وأعتقد- تأكيداً على ما قاله توفيق الحكيم - بأننا لا نجد فى تاريخنا الفكرى المعاصر من اهتم بهذه القضية قدر اهتمام زكى نجيب. لقد كان من المفـروض أن نتبنـى أفكار الرجل ونخلص كل الإخلاص فى دراستها، لأنها على رأس قضايانا الفكرية وتعد من أهم مطالبنا الفكرية. ولكننا للأسف الشديد لم نفعل ذلـك لأننا نعيش - كما قال توفيق الحكيم فى تحيته التى وجهها إلى زكى نجيب فى عيد ميلاده الثمانين- فى مجتمع الصراصير التى تتقاتل مع بعـضها البعض ، وليس فى مجتمع النمل الذى تتعاون فيه كل نملة مع الأخرى.. تعلمت من زكى نجيب ألا أكتب إلا ما أعتقده، لا أتحدث إلا عن إيمان من جانبى بما أراه صواباً. فأين نحن الآن من دروس زكى نجيب، وقد تحول

أكثرنا إلى تجنيد قلمه لترسيخ التخلف الفكرى.. لقد أصبحت مساحة الفكر التقليدى الرجعى والذى يمثل اللامعقول. أضعاف أضعاف مساحة الفكـــر التقدمى المستنير. أصبحت الكتابة عن الفكر الرجعى التقليدى تدر علــــى أصحابها آلاف الدولارات، وهذا على العكس تماماً مـــن الكتابـــة عـــن أصحاب الفكر المستنير.

لم يتقلد زكى نجيب محمود طوال حياته منصباً من المناصـــب. وأقول إنه كان على حق تماماً، إذ نجد التعارض التام بين أمور المنصب والإدارة ، وبين الاهتمام بالفكر وقضاياه. ولن نجد فى تاريخنا المعاصر مفكراً من المفكرين استطاع أن يجمع بدقة وتفان وإخلاص بين المنصب والجوانب الفكرية. لقد تعلمت ذلك من زكى نجيب محمود.

نعم لقد استمرت المناقشات بيننا سنوات طوال زادت بكثير عـــن ربع قرن من الزمان وأقول بأننى لا أتصور مثقفاً إلا وأن يقرأ كـــل مـــا كتب زكى نجيب.. إنه هرم ثقافتنا العربية.. ومن المنطقى أن نجد العديد من الكتب والرسائل التى تهتم بفكره الثاقب وآرائه الناضـــجة، وبعـــضها

كان ومازال تحت إشرافى فى أكثر من جامعة من الجامعات المصرية. [١]
من المنطقى أن تدور مناهج الفكر العربى الحديث حــول زكــى نجيــب وآراء زكى نجيب. لأنه دخل تاريخنا الفكرى من أوسع الأبواب وأرحبها. لقد اعتز بمصر وأخلص لها إخلاصاً بغير حدود. وكم كان حريصاً على أن يكشف لى أننا إذا وجدنا مجلة عربية تصدر فى هذه البلد أو تلك. فإن مصريتها تتمثل فى كون أكثر كتابها من المصريين.

كان النقاش بيننا مستمراً فى الصباح وفى المساء وكم اتفقنا فــى أكثر الآراء واختلفنا فى قلة قليلة منها. اتفقنا حول كل آرائه فى القــضايا الكبرى كقضية الغزو الثقافى وأنها قضية زائفة. وقضية التقــدم العلمــى والأخلاق. وقضية موقفنا من الغرب، كل هذه القضايا اتفقت مع أســتاذى فى كل رأى قاله حولها. واختلفنا حول بعض الجزئيات ومنها دور بعض الأعلام القدامى، فإذا كشف عن أهمية أبى حامد الغزالى فى مجال مــن المجالات، فإننى أقول إن الغزالى يقف على قمة عصر الرجعية ، لأنــه حارب الفلسفة والفلاسفة. اختلفنا حــــول موضوع ترجمة الكتب الطبية

(١) أشرنا إلى بعضها فى قائمة المراجع.

والتدريس بالعربية وكان يرى بأنه من الضرورى ترجمة الكتب الطبيـــة ويقدم الحجج الدقيقة على مشروعية هذا العمل وأهميته.وكنت أقول بأنـــه من الضرورى أن يتم تدريس الطب باللغات الأجنبية حتى لا نجد قصوراً فى معلومات الطلاب، إذ إن الطب لا يتقدم حالياً إلا فى البلدان الأوروبية وإذا وجدنا بلداناً عربية تقوم بتدريس الطب بالعربية، فإنـــه لـــيس مـــن الضرورى أن نجد إنجازات طبية لها أو أى نوع مـــن الاختراعـــات أو الاكتشافات العلمية الطبية.

نعم كان يتحدث عن طلابه أكثر من الحديث عن فكـــره الخالـــد. وهل أنسى ما قاله عنى فى أكثر من برنـــامج مـــن البـــرامج الإذاعيـــة والتليفزيونية. هل أنسى ما كتبه عنى. وكل سطر من سطور خطاباته يعد درة من درر أدبنا الرفيع. هل أنسى استقباله الحافل لكتبى التـــى قمـــت بتأليفها والتى قمت بالإشراف على بعضها. ويوم صدر الكتاب التذكارى تحت إشرافى عن مؤرخ الفلسفة "يوسف كرم" والذى ظلم حياً وظلم ميتاً، احتفل بالكتاب احتفالا بغير حدود وذكر لى أنه يعد مـــن أفـــضل الكتـــب التذكارية التى صدرت بمصر وعالمنا العربى. وهذا القول من جانبه يعد

تشجيعاً لى بغير حدود، لأن هذا الكتاب قد صدر كما قلت تحت إشـــرافى وبعد أن قام أستاذى زكى نجيب بتكليفى بهذا العمل فى فترة رئاسته للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة.

ومن مصادفات القدر أننى فى سنوات العلم الأولى كنـــت أقـــرأ لزكى نجيب محمود: وحين حصلت على الدرجة النهائية فى الفلسفة فـــى السنة التوجيهية بمدرسة دمياط الثانوية، كانت الجائزة المخصصة لـــذلك مجموعة من الكتب من بينها كتاب آثرت الحريـــة تـــأليف كرافتـــشنكو وترجمة زكى نجيب محمود . ثم يدور الـــزمن دورتـــه وأجـــد الرجـــل الإنسان. أجد زكى نجيب محمود يدخل علينا قاعة من قاعـــات الـــدرس بآداب القاهرة ليلقى علينا أول محاضرة من محاضراته على طلاب هـــذه السنة.

وإذ كنت قد كتبت مئات الصفحات عن فكر وفلسفة الرائد العظيم زكى نجيب وعن كتبه. فقد وجدت اليوم واجباً على أن أكتب عن زكـــى نجيب الإنسان من خلال علاقتى به، علاقة التلميذ بالأستاذ والابن بالأب الفكرى . وأقول دوماً بأننى أفخر أننى عشت فى عـــصر زكـــى نجيـــب

محمود. إن هذا من نعم الزمان ومن أسعد الأشياء التى ستظل محفورة فى ذاكرتى طوال رحلة العمر.

غير مجدٍ فى يقينى واعتقادى إغفال الأفكار الرائدة والبناءة التى غرسها فينا نحن العرب مفكرنا الشامخ زكى نجيب محمود، وخاصة فى مجال الفكر النقدى. إنها أفكار تؤدى بنا إلى الأمام سعياً نحو النور والتنوير. وليست من قبيل الأفكار التى تؤدى بنا إلى الصعود إلى الهاوية وبحيث نعيش فى الظلام والضياع، الأفكار التى يحاول الترويج لها أشباه المثقفين.

إن الحس النقدى يعد بارزاً فى دراسته لمشكلة الأصالة والمعاصرة وكان ملازماً له طوال حياته الفكرية . لقد استغرق منه البحث فى قضايا التراث من خلال رؤية نقدية أكثر من أربعين عاماً لقد أكد لى فى لقاء تم بيننا عام ١٩٨٥ بمنزله ونحن نستعد من جانبنا للاحتفال بمرور ثمانين عاماً على مولده، على ما سبق أن ذكره فى كتابه "قصة عقل": لقد قال لى إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية قد بدأ فى عام ١٩٥٦ ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب

الشرق الفنان [١] إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير. أى خطة بحث فى المشكلة التى وهب زكى نجيب لها عمره. كما ذكر ذلك بحق على صفحات جريدة الأهرام عملاق الأدب العربى توفيق الحكيم، ونعنى بها مشكلة الأصالة والمعاصرة وما يدور حولها من أسس نقدية. ومن البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفضل الصيغ والحلول المناسبة لمشكلات هذا الفكر، والبحث أيضاً فى كيفية مواكبة تيار العصر، تيار الحضارة، الحضارة الغربية على وجه الخصوص صنع الدكتور زكى نجيب محاور قضاياه الرئيسة.

نقول ونكرر القول، إننا نجد أخطاء فاضحة وشنيعة عند من يقولون بأننا نجد تناقضاً بين مرحلة أولى عند زكى نجيب ، ومرحلة ثانية، مرحلة الوضعية المنطقية والتجريبية العلمية. ومرحلة الاهتمام بالفكر العربى. كلا يا سادة. إذ لا يمكن الحديث عن الفكر العربى عند زكى نجيب إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا. أنه أقامه على إيمانه بالوضعية

---

(١) ذكر لى زكى نجيب محمود أن توفيق الحكيم أبدى إعجابه الشديد بهذا الكتاب رغم صغر حجمه نسبياً.

المنطقية وبحيث كانت لــديه منهجاً وليس مذهباً. إن هــؤلاء الأشــباه والأنصاف من الدارسين لم يضعوا فــى اعتبارهم اهتمامه بالكتابة عــن "جابر بن حيان" فى مرحلة مبكرة نسبياً. نعم وقعوا فى أخطاء شنيعة حين قالوا بالمرحلتين لأنهم تعودوا على الكتابة فى كل شئ، دون فهــم مــن جانبهم لأى شى وبحيث كانت كتاباتهم العرجاء تعد جهلاً على جهل. وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

أذكر للتاريخ أن مفكرنا الكبير قد ذكر لى فى لقاء تم بيننــا قبــل وفاته بقليل. أنه لا تعارض بين إيمانه بالوضعية المنطقيــة. ودراســاته النقدية فى مجال تجديد الفكر العربى. بل نقول إن استفادة زكى نجيب من الوضعية المنطقية قد هيأت له وســاعدته حــين ميــز بــين المعقــول واللامعقول. ونحن نعلم أن هذا التمييز من جانبه إنما قام بالدرجة الأولى على الحس النقدى لديه. تماماً كما فعل ابن رشد آخر فلاسفة العرب حين ميز بين الفكر الخطابى التقليدى. والفكر البرهانى الفلسفى علــى أســاس إيمانه بالتأويل.

وكأن تاريخ الفكر أيها السادة القراء يعيد نفسه. فإذا كان الصغار من أشباه الأساتذة قد حاولوا وصف ابن رشد بأنه سلفى تارة أو أشعرى تارة أخرى فإننا نجد أقزام الباحثين يقولون بوجود مرحلة ثم مرحلة أخرى تناقضها عند زكى نجيب محمود.

إننى أذكر ابن رشد على وجه الخصوص لأنه يرتبط بذكرى معينة خاصة بلقاء لى مع زكى نجيب محمود. فإذا كان مفكرنا زكى نجيب لم يعتمد على ابن رشد حين ألف كتابه "تجديد الفكر العربى"، إلا أنه كان يقدر آخر الفلاسفة "ابن رشد" تقديراً كبيراً. ولم يتردد فى قبول مراجعة كتاب لى صغير عن ابن رشد كلفتنى به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ أكثر من ربع قرن من الزمان وقد صدر هذا الكتيب فى مناسبة استعداد الجزائر للاحتفال بمرور ثمانية قرون هجرية على وفاة العملاق الشامخ ابن رشد، وأعترف أن زكى نجيب قد قدم لى العديد من الملاحظات البناءة منذ أن شرعت فى تأليف هذا الكتب وإلى أن صدر عام ١٩٧٨م. وذلك رغم طول اشتغالى بفلسفة ابن رشد.

نعم إن الحس النقدى عند زكى نجيب يعد بارزاً غاية البروز. ونحن نعلم أن النقد يعد أبرز خصائص الفلسفة والتفلسف. فإذا كان زكى نجيب قد التزم طوال حياته بهذا الحس النقدى. فإنه من الواجب علينا وضع الرجل فى منزلة كبرى تماماً كما ننظر إلى طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم والأب جورج قنواتى. واجب علينا دراسة مؤلفاته وتحليل أفكاره. وأنا على يقين من أننا سنجد فيها كعرب الفائدة كل الفائدة. نعم لابد من إعادة تحليل أفكاره.

خاض زكى نجيب العديد من المعارك الفكرية من منطلق إيمانه بأهمية النقد لقد دافع من خلال معاركه عن فكر الغرب. وحضارة الغرب التى قدمت للإنسانية الكثير من الإنجازات الضخمة والبناءة. وكان يرى أن المتأخر لابد أن يلحق بالمتقدم. وبحيث لا يصح أن نطلب من المتقدم أن يقف فى مكانه حتى يلحق به المتأخر. كان يرى أهمية النظر إلى الأمام.. النظر إلى المستقبل. وإذا كان الله قد خلق أعيننا فى مقدمة رؤوسنا، فكأنه قد طلب منا النظرة التقدمية. وليست النظرة للرجعية والعياذ بالله.

لم يرتض لنفسه موقف الذين يخلطون بين الدين والسياسة، وبحيث يقومون بالإساءة للدين تارة والسياسة تارة أخرى. ونعني به موقف الاتجاه الأصولي.

لم يخلط بين الدين والعلم. فالدين ثابت والعلم متغير. ولا يمكن أن نلحق الثابت بالمتغير ونحسب أن هذا الموقف من جانب زكي نجيب يعد صائبا غاية الصواب. إنه موقف يتفق مع الاتجاه العقلي، وهو الموقف الذي نجده عند طه حسين في أعظم كتبه" من بعيد"، وعند توفيق الطويل في كتابه " التنبؤ بالغيب". وأيضاً عند فؤاد زكريا في العديد من كتبه.

دافع مفكرنا الكبير زكي نجيب من خلال العديد من كتبه عن العقل والمعقول. وقد وجدت من واجبي حين انتهيت من كتابي "ثورة العقل في الفلسفة العربية"، أن أقوم كما قلت منذ قليل بإهدائه إلى زكي نجيب، وكان ذلك منذ أكثر من ربع قرن من الزمان. وكان حريصاً على الربط بين الاتجاه العلمي والاتجاه العقلي. إنه يقول في أول سطر خطه في واحد من أهم كتبه: أنا مؤمن بالعلم..الخ.

ولم يكن زكى نجيب محمود مجرد مـردد لآراء هـؤلاء الـذين يفخرون بالعلوم عن العرب. إنه يعلم أن علوم العرب تعد وصفية كيفية لم تتمخض عنها إنجازات تذكر . أما العلم الدقيق فينبغى أن يكـون كمـاً ، وكماً فقط. وهذا ما نجده فى العلم الحديث.

وأحسب أن هذه الفكرة الصائبة من جانب زكى نجيب إنما تعـد نوعاً من التأثر بما ذهب إليه طه حسين فى كتابه " من بعيد" والذى رأى أن الويل للأمة العربية حين تلجأ إلى كتاب القانون فى الطب لابن سينا أو تذكرة داود وبحيث تجعل هذه الكتب وغيرها مراجعها فى علم الطب!!.

إن القارئ لأفكار زكى نجيب النقدية. لابد وأن يدرك الجهد الكبير الذى بذله. إنه صاحب رؤية متميزة. رؤية تصدر عن ذكاء ثاقب، وعقلية من النادر أن نجد مثيلا لها.إنه لا يقرأ التراث كقراءة الأشباه وأنـصاف المثقفين الذين يتاجرون بالتراث وينشرون الظلام فى أرجاء الـدنيا. بـل يقرأ التراث قراءة نقدية. ولا نمل من جانبنا فى أن نقول إننا قد نجد فـى كتب التراث كماً هائلاً من الخرافات ... يقول زكى نجيـب فـى كتابـه الرائع "قصة عقل": "لقد قرأت ما قرأته (من التراث العربى) ليكون حكمى

عليه قائماً على معايير عصرنا نحن من حيث انتفاع الناس بـــه أو عـــدم انتفاعهم".

لقد مات زكى نجيب ولكن أفكاره ستظل إلى أبـــد الآبـــدين فـــى عقولنا ومشاعرنا ووجداننا. إنها أفكار حية عظيمة رائعة صـــدرت عـــن إنسان آمن بربه وآمن بوطنه وأحسب أن روح زكى نجيب محمود تحلق الآن فى سعادة حين تعلم أن أفكار صاحبها قد قدر لها الخلود فتحية له من تلميذ له مازال يعيش فى عالم الفساد والزوال. وإلـــى أن تلتقـــى الأرواح بالأرواح فى عالم الخلود كل الدعاء والتحية لك يا أيها الأســـتاذ العظـــيم زكى نجيب محمود.

نعم لقد عرفت الرجل عن قرب واتفقت معه تارة واختلفت معـــه تارة أخرى. ولقد كان سعيداً بالاتفاق والاختلاف بيننا. ولم لا؟ وهو مفكر رائد، كما كان سعيداً بإشارة توفيق الحكيم بدراستى عن زكى نجيب والتى ألقيتها فى محاضرة مطولة بدمياط، ثم نشرت بالأهرام الدولى.

وقد كنت طوال حياتى حريصاً على إحياء أفكار زكـــى نجيـــب محمود رغم اختلافى – كما قلت– معه حول بعضها وعلى النحو الـــذى

أشرت إليه منذ قليل. كتبت عنه فى العديد من كتبى. ومن النادر أن نجـد كتاباً من كتبى يخلو من الحديث عن زكى نجيب محمود وفكره الأدبـى والفلسفى. لم أقم بذلك من منطلق إشادته بى فى كثيـر مـن المناسـبات الفكرية والثقافة، وقوله بأننى أعد استمراراً له [1].

كما كنت حريصاً على إصدار مجلد تذكارى ضخم عنـه، وقـد صدر المجلد منذ عدة سنوات وبعد رحيله عن دنيانا.. كما كتبت عنه فى الكتابين التذكاريين وقد صدر واحد منهما قبل وفاته (جامعـة الكويـت) والآخر بعد وفاته (المجلس الأعلى للثقافة).

وقد يعد المجلد التذكارى الذى صدر تحت إشرافنا أكثر شمولاً من المجلدين المشار إليهما، إذ نجد بهما عيباً جوهرياً كان لا يصح الوقـوع فيه وهو وجود عدد من الدراسات المهداة إليه، وليست عن فكـره. وقـد تعجبت وأسفت لذلك لأن أفكار زكى نجيب محمود تعـد بالغـة الثـراء والتنوع والتشعب من خلال آلاف الصفحات التى تركها لنا وكتبها طوال أكثر من نصف قرن من الزمان.

(١) يمكن الرجوع إلى الحوار الذى نشر بآخر ساعة قبل وفاته بعدة سنوات، وقامـت بإجراء الحوار معه الصحفية الأستاذة وفاء الشيشينى.

ويكفى أن نقول للتدليل على ذلك إن المجلد الـذى كـان تحـت إشرافنا جمع عدة محاور وموضوعات من بينها وعلى سـبيل المثـال لا الحصر، من صميم حياته، والسياسة والمعـارك الفكريـة، والمـضمون السياسى فى فكره، والدعائم الأخلاقية للدولة عند زكى نجيـب محمـود، وإشكالية الأصالة والمعاصرة عنده، ومنهجه فى نقـد اللامعقـول مـن التراث، ودور اللغة فى تجديد الفكر العربى عند زكى نجيب، والإطـار العلمى لتجديد الفكر العربى من منظوره، الشخصية المصرية عند زكـى نجيب، وخصائص الفكر العربى المعاصر عنده، والعقل والوجدان عنده، وموقفه من التصوف، وفلسفته الجمالية، والدلالات الأخلاقية فى فكـره، والجانب الأدبى عنده، والتجريبية العلمية عنده، والاتجاه العلمى وموقفـه من الميتافيزيقا ، هذا كله بالإضافة إلى تحليلات نقدية للعديد من كتبه ومن بينها قيم من التراث، والمعقول واللامعقول،... الخ.

هذا كله يعد جزءا قليلاً من واجبى نحو رجل نعتز بفكره، رجـل أحب مصر والعروبة حباً جماً. وقد وجدت من جانبى أن أبادله حباً بحب، وعطاء بعطاء، وبحيث لا نكون كالقطة التى تأكل أبناءها، وأيضاً لكـى نقضى على مقولة الكثيرين الآن الذين يقولون إننا جيل بلا أساتذة. إنهم – فى رأينا – جيل الصغار والأقزام والأشباه وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

الفصل الثاني

صفحات من حياته الفكرية ونماذج من بعض آرائه التنويرية

(أول فبراير عام ١٩٠٥– التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣م).

إذا كنا نقول بأن هرمنا الفكرى والثقافى والأدبى، يمثلـــه عبـــاس العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم، فإن من الصحيح، بل من الـــضرورى أن نضم إلى هؤلاء الثلاثة، مفكرنا زكى نجيب محمود.

إن الدور الرائد والحيوى الذى أداه زكى نجيب محمود لا يقل بأى حال من الأحوال عن أى دور قام بأدائه أعظم المفكرين العمالقة فى أمتنا العربية قديماً وحديثا. وأن أى كلمة أو عبارة يقول بها زكى نجيب محمود ستظل محفورة فى عقل ووجدان شعوب العالم أجمعه شرقا وغربا. فـــإذا نطق زكى نجيب محمود، فقد نطق الحكيم. وإذا كتب، فإن كتاباتـــه تعـــد تعبيرا عن منارة الفكر، عن الشعلة الخالدة، شعلة العقل الذى يعد أعظـــم الأشياء قسمة بين البشر.

لهذا كله لم يكن غريبا أن يلتف ملايين القراء حوله، وأن تكـون كتاباته وأحاديثه مثار مناقشات وتعليقات لا حصر لها، إنها كتابات حيـة وليست ميتة، كتابات تعد معبرة عن تيار العصر وجوهر الحضارة كمـا ينبغى أن تكون الحضارة، كتابات تعـد فتحـا عظيمـا لآلاف الأفكـار والآراء، كتابات ثمرة للعقل الثاقب ، كما تعد كتاباتـه ثمـرة لاطلاعـه الواسع الغزير، ثمرة لاعتقاده بأن الفكر يجب أن يكون قـضية الإنـسان الرئيسية وجوهر حياته.

والواقع أنه يعد من الصعب، بل من المستحيل تماما أن نعـرض لجوانب فكر زكى نجيب محمود، فى دراسة واحدة، إذ إن فكره يعد ثريا غاية الثراء وعميقاً غاية العمق. ويشهد على ذلك عشرات الكتـب التـى قدمها لنا، ومئات الدراسات الجادة التى وضعها بين أيدينا والتـى تعـالج موضوعات شتى فلسفية وأدبية وفنية واجتماعيـة إصـلاحية، ومئـات المقالات التى تعد كل واحدة منها معبرة عن فكرة أو مجموعة من الأفكار يتميز بها مفكرنا الكبير ولا تعد معبرة عن نوع من المتابعـة أو التقليـد للآخرين. وأيضا العديد من الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية سـواء فـى

مصر أو خارجها، وكم كانت تلك الكتب والدراسات والمقالات والأحاديث هادية ومرشدة لآلاف القراء والدارسين والباحثين إلى اكتشاف عوالم جديدة لم يكن بإمكانهم اكتشافها ولا التوصل إليها، بل الاقتراب من حدودها ومعالمها وأبعادها ومجالاتها إلا بفضل زكى نجيب محمود. وعظمة زكى نجيب محمود وذكائه الخارق النافذ إلى أعمق أعماق وجودنا الفكرى والثقافى وذلك عن طريق التأمل العميق والتحليل الذى يسبر أغوار كل فكرة وكل مشكلة وما أكثر تلك الأفكار والمشكلات. نقول هذا رغم أننا قد نختلف مع مفكرنا حول فكرة أو أكثر من الأفكار التى قال بها.

إنه من المستحيل تماما أن نعبر من خلال دراستنا هذه عن جوانب فكر زكى نجيب محمود ومذهبه، إنه مجدد، والمجدد لا يكون متابعا للآخرين ولا عالة عليهم. مثله فى ذلك مثل من يريد الحصول على ثمرة من الثمار، إنه يحدد مكانها ويصعد بنفسه لاقتطافها من فوق الشجرة، أما المقلد فإنه يكون كما قلت متابعا وعالة على الآخرين، إنه يحصل على الثمرة من تحت الشجرة اعتماداً على أن أفراداً آخرين سبقوه

بأن وضعوا تحت يديه تلك الثمرة. إن مجددا كزكى نجيب محمود قد سار فوق الصخور والأشواك ومهد لنا الطريق. إنه يعد كالبوصلة التى تحـــدد اتجاهنا وتهدينا إلى الطريق السليم، ولم لا؟ وفكر زكى نجيب محمود يعد معبرا عن روح العصر وتياره الأصيل.

من أجل هذا كله، فإننا لا نجد مفرا من التركيـــز علــى جانــب رئيسى من جوانب فكره. الجانب الذى يتبلور حول قضية التجديد وكيف كانت دعوته للتجديد تعبيراً عن تيار العصر وروح الحضارة. هذه القضية التى ترتبط بالعديد من القضايا فى حياتنا المعاصرة. وكلما تمر علينا فى المستقبل سنوات وسنوات وقرون وقرون، سيزداد تقديرنا لفكـــر الرجـــل وعمق آرائه لأن المجدد بما يتمتع به من الذكاء الحاد وأصالة البـــصيرة إنما يتخطى عصره، إنه يخترق حجب الماضى والحاضر متجهـــا إلـــى المستقبل. المستقبل الذى لا يدركه المقلد لأنه يجتر من ماضيه أساسا فى حين يكتشفه المجدد بعمق نظرته وأصالة تأمله. وقد أدرك مفكرنا زكـــى نجيب محمود عن طريق العقل. والعقل أساسا، وليس عن طريق رؤيـــة

صوفية أو تجربة وجدانية. وطريق العقل فى كل زمان وفى كـل مكـان إنما يختلف اختلافا جذريا عن طريق الذوق والوجدان والتصوف.

ولنشر الآن إشارة موجزة إلى الحياة الفكرية لزكى نجيب محمود، ثم نعرض لبعض أبعاد اتجاهه الفكرى مركزين كما قلت علـى المجـال الذى يتعلق بقضية التجديد والدعوة إلى حركة التنوير العقلى، وكيف بدأت إرهاصات هذا التجديد والتنوير خلال مكونات حياته الفكرية.

ولد زكى نجيب محمود فى قرية ميت الخولى عبـد الله وكانـت تابعة لمحافظة الدقهلية، ثم أصبحت تقع فى زمام محافظة دمياط، وتاريخ مولده هو ١٩٠٥/٢/١م، وقد قضى مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى بكلية غوردون بالخرطوم عاصمة السودان حيث كان والده يعمل بالسودان، أما الدراسة الجامعية فكانت فى مصر وقد تخرج عام ١٩٣٠م.

يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه قصة عقـل: أسـدلت العشرينات أبوابها، وبدأ عقد الثلاثينات وفى أول أعوام (١٩٣٠) تخـرج صاحبنا فى مدرسة المعلمين العليا. وبدأ حياة التدريس ليجعلها أحد خطين متوازيين سار عليهما أما الخط الثانى فهو الإقبال الشديد علـى متابعـة

الحياة الثقافية متابعة كادت ألا تترك كتابا أو مقالة مما كان يكتبه أعــلام الحركة الفكرية والأدبية فى مصر، ومعها متابعة أخرى- لم تكن شاملة- لما يصدر فى أوروبا- وانجلترا بصفة خاصة- من نتاج ثقافى (ص١٦).

هذا ما يقوله مفكرنا عن الفترة التى أعقبت مباشرة تخرجه فــى مدرسة المعلمين العليا. وليلاحظ القارئ اهتمام مفكرنا بمتابعــة أحــداث الحركة الفكرية سواء فى مصر أو خارجها. إذ أعتقد من جانبى أن هــذه المتابعة إن دلتنا على شئ فإنما تدلنا على فهم الدكتور زكى نجيب محمود لوظيفة المثقف وكيف ينبغى أن تكون، وكم نجد العديد من مقالاتــه فــى كثير من المجلات والصحف طوال نصف قرن تكشف لنا عن اهتمامــه برصد كل الظواهر المهمة وتحليلها تحليلا يعد غاية فى الدقة والعمق.

وكانت الفترة منذ تخرجه حتى سفره إلى انجلتــرا عــام ١٩٤٤. فترة مليئة بالنشاط الفكرى وخاصة ما ارتبط بمجلــة الرســالة. ولجنــة التأليف والترجمة والنشر. وتأليف العديد من الكتب كقصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة وقصة الأدب فى العالم، وأيضا تعريب كتاب فنون الأدب.

وقد قضى مفكرنا بانجلترا عدة أعوام للحـصول علـى درجـة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن وهى من كبرى الجامعات الإنجليزية العريقة، وذلك فى سبتمبر عام ١٩٤٤م حتى أواخر عام ١٩٤٧م. وقـد أثرت دراسته بانجلترا فى تشكيل العديد من وجهات نظره ويتضح ذلـك من خلال كثير من كتبه كالمنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقـا ونحـو فلسفة علمية وحياة الفكر فى العالم الجديد. بل إن إيمانه المبكـر بفكـرة الحرية قد ظهر فى اختياره موضوع رسالته للدكتوراه وكان موضـوعها الجبر الذاتى. وطالما نجد من جانبه ربطا بين الحرية، وبين تيار العصر والحضارة.

يقول الدكتور زكى نجيب محمود، لقد بلغ اهتمامى يومئذ بفكـرة الحرية الإيجابية أن جعلتها موضوعا لرسالتى فى الدكتوراه. فموضـوع رسالتى هو الجبر الذاتى والمقصود بعبارة الجبر الذاتى هو أن الإنـسان فى حرية إرادته مقيد بماضيه هو نفسه على الأقل. كما هو مقيد بعوامـل أخرى تشكل الإطار العام الذى يتحرك حراً بين حدوده، ولكنه داخل تلك الحدود نفسها إذا ما فعل فعلا أو قال قولا فى مستطاعه دائما أن يبدع ما

هو جديد غير مسبوق إليه. أى أن علوم الدنيا بأسرها لا تستطيع أن تتنبأ على وجه اليقين بما أنا فاعله أو قائله فى اللحظة الزمنية القادمة. فهو فعل جديد أو هو قول جديد. لكنها فى كلتا الحالتين جدة تضيف إلى حصيلة البشرية من أفعال أو أقوال، وليست هى مجرد الجدة كالتى نراها – مثلا – فى تخليط المجانين أو فى شخبطة الأطفال إذا ما وجدوا ورقا وأقلاما (قصة عقل ص٤٨-٤٩).

وقد عاد الدكتور زكى نجيب محمود إلى مصر وعمل مدرسا للفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة. تلك الكلية التى تفخر دوما بأن مفكرنا كان من الذين قاموا بالتدريس فيها مدرسا فأستاذاً مساعدا ثم أستاذا ولم يشأ أن يتقلد خلال فترة وجوده عضوا بهيئة التدريس بقسم الفلسفة منصبا من المناصب الإدارية، إنه يعتقد باستمرار أن عمله هو الفكر. والفكر أساسا، وكم بين لى أثناء زيارتى له فى منزله مدى التعارض بين الإخلاص للفكر، والحرص على المناصب الإدارية البراقة. لقد كان حريصا منذ عودته إلى مصر فى خريف عام ١٩٤٧ على الدعوة إلى

التشبع بروح الثقافة المعاصرة من جهة. والدعوة إلى التجريبية العلميـــة من جهة أخرى، إنه يذكر لنا فى كتابه قصة عقل (ص٥٧) أن فكره حين عاد إلى مصر، كان قد تبلور فى شعبتين: إحداهما وجوب الأخذ بـــروح الثقافة الأوربية المعاصرة، لعلها تنتهى بنا إلى مثل ما انتهت بأصـــحابها إليه من وضع الإنسان الفرد فى مكانة تشبه التقديس. والثانية هى وجوب الدعوة إلى التجريبية العلمية، لأنها إذا كانت مجرد اتجاه فلسفى هنـــاك، فهى بالنسبة للأمة العربية ضرورة. إذ من شأنها أن تضبط اللفـــظ فـــى مجال التفكير العلمى ضبطا صارما وهو ما أظننا فى أشد الحاجة إليه.

وكما كان مفكرنا شعلة نشاط من النادر أن نجد لها مثـــيلا فـــى حياتنا الثقافية المعاصرة، قبل سفره إلى انجلترا، كان أيضا هذا حاله بعد عودته منها. لقد سافر فى مهمات علمية عديدة إلى كثير من البلدان شرقا وغربا. عمل أستاذا زائرا بأمريكا خلال عامى ١٩٥٣، ١٩٥٤، كما عمل مستشارا ثقافيا بسفارتنا بواشنطن، وسافر إلى الكويت حيث عمل بجامعتها أستاذا لمدة خمسة أعوام من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٣، وتمت دعوتـــه

لزيارة أكثر من بلدة عربية من بينها الإمارات العربية المتحـــدة لإلقـــاء مجموعة من المحاضرات بجامعاتها.

لقد حصل أستاذنا على العديد من الجوائز تكريما لـــه واعترافـــا بدوره الفكرى والثقافى وريادته فى مجـــال الفكـــر العربـــى المعاصـــر والفلسفى منه على وجه الخصوص. حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه نحو فلسفة علمية. وحصل علـــى جـــائزة الدولـــة التقديرية عام ١٩٧٥. وحصل على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وهو أول مصرى يحصل على هذه الجائزة. وقد ذكر لى أثنـــاء إحدى مقابلاتنا بمنزله. أن منحه هذه الجائزة يدلنا على أن العربية ثقافـــة قبل أن تكون سياسة، وكان هذا موضوع مقالـــة مـــن مقالاتـــه بجريـــدة الأهرام.

ويمكن القول بأن جميع المهتمين بشئون الثقافة والفكر يسعون من جانبهم إلى التعرف على حقيقة آرائه التى تعد كما قلت ثرية ثراء لا حـــد له، وفتحت لنا آفاقا لم نكن ندرى عنها شيئا. لقد سعيت من جانبى إلـــى منزله عدة مرات أحاول إقناعه بقبول تعيينه أستاذاً غير متفـــرغ بقـــسم

الفلسفة بآداب القاهرة وقد تكرم بتلبية دعوتى وعمت الفرحة كـل مكـان سواء داخل الجامعة أو خارجها، وذلك بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة الفكر المعاصر وإشرافه على العديد من المجلات الأخرى، ورئاسته للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة وعـضويته باللجـان العلميـة والفكرية واشتراكه فى الإعداد لكثير من المؤتمرات الفلسفية ومن بينهـا مؤتمر عن الفيلسوف العربى ابن رشد بالجزائر، لقد كنت مسرورا غايـة السرور باشتراكى معه فى وضع كتيب عن آخر فلاسفة العرب، " ابـن رشد" لكى يوزع على الحاضرين أثناء المؤتمر ، وكم تضاعف سرورى حين أهديت له كتابى ثورة العقل فى الفلسفة العربية اعترافا بدوره الخلاق والمبدع فى صياغة حياتنا الفكرية.

لقد دعانا زكى نجيب محمود إلى ضرورة التعرف علـى فكـر الغرب والاستفادة منه، وقام من جانبه بترجمة العديد من الكتب ترجمـة تعد غاية فى الدقة والأمانة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر الجزء الأول والجزء الثانى من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى المعاصر، " برتداند رسل" ومجموعة أجزاء من الموسـوعة الـضخمة،

قصة الحضارة للمفكر الأمريكى ول ديورانت ، وكتاب المنطق للفيلسوف الأمريكى جون ديوى ومجموعة من محاورات أفلاطـون. لقـد شـملت ترجمته التراث القديم والفكر الحديث والمعاصر أيضا، وهذا يعـد مـن جانبه اعترافا بقيمة الترجمة ودورها فى التنوير تماما كمـا حـدث فـى العصر العباسى. وما حدث أيضا فى عصر النهضة الأوروبية.

غير مجد فى ملتى واعتقـادى تـصور التنـوير دون الاهتمـام بالترجمة فى جميع المجالات علمية وأدبية وفكرية وفلسفية. إننا إذا أردنا لأنفسنا مواصلة التيار الذى ظهر فى مصر منذ ما يزيد على قـرن مـن الزمان والذى يعد فى جوهره إعلانا عن بداية عصر جديد من عـصور مصر الفكرية، فلا مفر من الاتجاه بكل قوتنـا نحـو الترجمـة الدقيقـة الواعية. وإنه لمن المؤسف حقا أن نرى دول العالم تتجه بكل قوتها نحو الترجمة والاستفادة من الأفكار الموجودة فى أمم أخرى. فى حـين أننـا نتغافل عن الترجمة وأهميتها ودورها فى إثراء حياتنا الفكرية وصـياغة وجودنا الأدبى والفلسفى.

إن التنوير لا يمكن تصوره إلا من خلال التعرف علـــى أفكـــار الأمم الأخرى. وقضية الأصالة والمعاصرة لا يمكن تصورها والبحـــث فيها إلا بأن نتجه بكل قوتنا نحو الترجمة. والتقدم فى جميـــع المجـــالات أدبية وعلمية ومادية لا يمكن أن يتم أو يتحقق إلا بأن نعرف أفكار أمـــم الأرض قاطبة من مشرق الدنيا إلى مغربها. ولا أشك فى أن فتح النوافـــذ حيث الهواء المتجدد النقى يعد أفضل ألف مرة من الهـــواء الراكـــد، إن ثقافتنا دون الترجمة ستكون ثقافة مشوهة وعرجاء، ستكون معبرة عـــن الظلام لا النور. ومن يطلب منا عدم التعرف على أفكار الأمم الأخـــرى عن طريق الترجمة، إنما يهدف من وراء ذلـــك إلـــى أن يظـــل شـــبابنا محصورا فى معرفته على الأفكار المسطحة والتى لا نجد فيها عمقا، أى عمق.

لقد نبهنا مفكرنا العملاق زكى نجيب محمود إلى أهمية الترجمة، ولم يكن هذا من جانبه مجرد دعوة نظرية. بل إنه – كما قلت – قد قـــام فعلا بترجمة العديد من أمهات الكتب فى مجالات شـــتى فلـــسفية وغيـــر فلسفية.

بل يمكن القول بأن المتأمل فى تحليلات زكى نجيب محمود لثقافة العصر، وتصوره للحضارة والتنوير، إنما يدرك تماما أن الترجمة تعنى التواصل بين الأجيال، تعنى إقامة الجسور بين ثقافة وثقافة أخرى. إن الثقافة فى انتقالها من ماضيها إلى حاضرها وإلى مستقبلها، إذا كان حالها كالجسور التى على أساسها ننتقل من مكان إلى آخر، على أساسها نضمن التواصل بين الأجيال والأفراد فى كل زمان وفى كل مكان. فإن من يدعونا إذن إلى أن ننصرف عن الترجمة، فإن حاله كحال من يدعو إلى هدم الجسور، إنه يريد فصل ما اتصل ، لا وصل ما انقطع.

لقد كان الدكتور زكى نجيب محمود فى دعوته التجديدية حريصا الحرص كله على أن يبين لنا أهمية الاستفادة من أفكار الأمم الأخرى، أى الانفتاح على حضارة الغرب، إننا نجد هذا واضحا سواء فى كتبه الفلسفية أو فى كتبه التى يغلب عليها أنها تعالج موضوعات أدبية، نعم إننا نجد هذا واضحا تمام الوضوح فى كتب عديدة تركها لنا هرمنا الفكرى الشامخ، زكى نجيب محمود ومن بينها كما أشرنا الشرق الفنان وتجديد الفكر العربى والمعقول واللامعقول وحياة الفكر فى العالم الجديد، وبرتداند

رسل، وديفيد هيوم، والمنطق الوضعى، ونحو فلسفة علمية، وجنة العبيط، وشروق من الغرب ، وقشور ولباب، ومجتمع جديد أو الكارثة، والثـورة على الأبواب، ومن زاوية فلسفية، وفى حياتنا العقلية، وفى فلسفة النقـد، وهموم المثقفين، وثقافتنا فى مواجهة العصر، قصة نفس، وقصة عقل... إلى آخر تلك الكتب التى نجد فيها كما قلت دعوة إلى الأخذ بأسباب العلم وأسباب الحضارة، وكما دعانا إلى ذلك أيضا فى آخـر كتبـه "حـصاد السنين".

ونود أن نؤكد من جانبنا على أننا لا نجد تعارضا- كمـا يتـوهم البعض – بين اهتمام زكى نجيب محمود اهتماما بالغا بالدراسات المنطقية على النحو الذى نجده فى المنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقا (موقـف من الميتافيزيقا) ونحو فلسفة علمية، واهتمامه بتجديد الفكر العربـى، ولا أشك فى أن اهتمام مفكرنا العملاق بالدراسات المنطقية عند الغربيين قـد فتح أمامه الطريق إلى السعى بكل قـوة نحـو حـل مـشكلة الأصـالة والمعاصرة وتجديد فكرنا العربى.

لقد درس مفكرنا دراسة دقيقة المحاولات التى سبقته. ويمكننا القول بأننا نجد مواقف عديدة حول قضية التراث وصلته بعلوم الغرب وحضارته، فمن المفكرين من يعتمد على الحديث والحديث فقط أى الدعوة إلى المعاصرة فحسب دون أن يأخذ فى اعتباره، الماضى فى تراثنا، ومن هؤلاء سلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض. كما نجد أمثلة لأناس وجدوا أن الصحيح هو التراث، والتراث فقط، ومن بينهم مصطفى صادق الرافعى، وأيضا نجد مفكرين قد حاولوا المزج بين القديم والجديد، بين التراث والمعاصرة ومن بينهم رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده وطه حسين وعباس العقاد، وتوفيق الحكيم.

وقد وجد زكى نجيب محمود أن الصحيح إلى حد كبير جدا إنما يتمثل فى هذا الموقف الأخير أى الموقف الذى لا يرفض تراثنا لمجرد أنه قديم، ولا يرفض أيضا الاعتماد على ثقافة الغرب وحضارة الغرب، إن هذا الموقف يعد واضحا فى العديد من كتبه، ومن بينها : بذور وجذور، وعربى بين ثقافتين. نقول هذا رغم اتفاقنا مع مفكرنا تارة واختلافنا تارة أخرى، ولكن الاختلاف الذى يعد خاصية من خصائص الفلسفة والتفلسف.

لقد انطلق مفكرنا وبكل ما يملك من وقت وجهد نحو البحث فـــى مشكلة تجديد الفكر العربى، مشكلة الأصالة والمعاصرة. مشكلة المواكبة بين التراث من جهة وتيار العصر والحضارة من جهة أخرى. لقد أخلص للبحث فى هذه المشكلات إخلاصا لا مثيل له، اهتم بالبحـــث فـــى هـــذه القضايا التى ترتبط كل قضية منها بالأخرى وتقترن بها، أكثر من ربـــع قرن من الزمان.

نعم لقد استغرق منه البحث فى هذه القضايا أكثر من ثلاثين عاما. لقد أكد لى فى لقاء تم بيننا منذ سنوات على ما سبق أن ذكره فى كتابـــه، قصة عقل، لقد قال لى إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافـــة الغربية قد بدأ فى عام ١٩٥٦ ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فـــى كتاب الشرق الفنان، إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير ، أى خطة بحث فـــى المشكلة التى وهب لها عمره، مشكلة الأصالة والمعاصـــرة ومـــا يـــدور حولها من البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفضل الصيغ أو الحلول المناسبة، والبحث أيضا فى كيفية مواكبة تيار العـــصر، تيـــار الحضارة، والحضارة الغربية منها على وجه الخصوص.

لقد تميز أستاذنا، أستاذ الجيل، زكى نجيب محمود، بحس نقدى غاية فى الدقة والروعة، أيضا حس يجعلنا نقف أمامه فى إجلال وإكبار، تماما كما نقف أمام الأهرامات وأبى الهول ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الحس النقدى هو أهم ما يميز الفكر الفلسفى، أهم ما يعبر عن خصائص الموقف الفلسفى، وكل مفكر يبرز لديه الحس النقدى إنما يعد مفكراً عملاقاً، مفكرا شامخاً، مفكرا يحتل مكانة فريدة بحيث يتميز عن سواه من المفكرين، فأرسطو خالد لمنهجه النقدى، وابن رشد يعد عملاقا لمنهجه النقدى، وتوما الاكوينى يعد على رأس فلاسفة المسيحية فى العصر الوسيط للبعد النقدى الذى يميزه عن فلاسفة المسيحية الذين سبقوه ، والفيلسوف الألمانى كانت إنما تشطر فلسفته، الفلسفة الحديثة إلى شطرين، الفلسفة قبل كانت والفلسفة بعد كانت وذلك لأسباب عديدة أهمها حسه النقدى البارز والذى تجلى فى ثلاثيته النقدية: نقد العقل الخالى، نقد العقل العملى، نقد ملكة الحكم، وطه حسين يعد عملاقا لأننا قلما نجد ظاهرة ثقافية أو اجتماعية أو فكرية إلا ونجده قد تصدى للبحث فيها على أساس اتجاهه النقدى، وزكى نجيب محمود يعد على رأس مفكرينا المعاصرين

لأنه أعلى كلمة العقل فوق كل كلمة، أقام تجديده للفكر العربى على أساس نقدى دقيق، والنقد هو أهم خصائص المجدد، لأن المجدد لا يكون مقلدا أو متابعا للآخرين مجرد متابعة... إن هذا الحس النقدى موجود فى أكثر كتب زكى نجيب محمود سواء كانت فى مجال الفلسفة أو كانت فى مجال الأدب، وقد أعانه عليه ذكاؤه الخارق، واطلاعه الجم، وتنظيم وقته تنظيما غاية فى الدقة بحيث يكون مخصصا أساسا للفكر وقضاياه.

إن الحس النقدى التحليلى إذا كان يظهر بكل قوته عند مفكرنا سواء فى كتبه الفلسفية، أو كتبه الأدبية، فإنه يظهر أيضا بأعظم صوره حين يبحث زكى نجيب محمود فى مجالات الفنون، لقد كتب صفحات عديدة رائعة فى هذه المجالات الفنية، وعلى رأسها ما كتبه فى مؤلفه، أيام فى أمريكا.

ومن الواضح غاية الوضوح إذا حللنا تاريخ الفكر العالمى، أنه توجد صلة وصلة وثيقة، بين الإيمان بالبعد النقدى من جهة، والمعارك الفكرية التى يخوضها المؤمن بدور النقد، المؤمن بعدم تقليد أو متابعة الآخرين تقليدا أعمى من جهة أخرى .. ومن هنا نجد أستاذنا يدخل فى

معارك فكرية عديدة .. لقد خاض تلك المعارك متسلحا بالثقافة الغزيـــرة، متسلحا بالشجاعة، مؤمنا بأفكاره التى أقامها على أســـاس ثابـــت وطيـــد متماسك البنيان، وإذا كان من حق كل إنسان أن يؤمن بالرأى الذى يعتقد بصحته ، إلا أنه ليس من المعقول ولا المنطقى أن يلجأ نفر مـــن أشـــباه الدارسين وأنصاف المثقفين إلى الهجوم على آراء مفكرنا لمجرد الهجوم، إن هجومهم على هذه الصورة الفجة يكشف لنا عن إن هجومهم إنما يعـــد جهلا على جهل ولكن أكثرهم لا يعلمون. ماذا يريد هؤلاء الأشباه؟ هـــل يريدون منا العودة إلى عصور الظلام؟ هل يريدون لنا الانغـــلاق حـــول أنفسنا؟ لقد خاض زكى نجيب محمود معاركه الفكرية التى لا حصر لهـــا دفاعا عن طريق النور، دفاعا عن تيار الحضارة بأجلى وأخصب معانيها. دفاعا عن الإنسان وكرامة الإنسان.

ولنقف عند عبارة رائعة نجدها فى كتابه العظـــيم: قـــصة عقـــل (ص٧٣-٧٤) إنه يقول: إذا أنت أمعنت النظر فى الاتجاهـــات الفلـــسفية المعاصرة، ويمكن بلورتها فى أربعة ، وجدت جذرها المشترك هو اتخاذ الإنسان فى حياته الدنيوية هو محور الاهتمام، وانظر على هذا الـــضوء

إلى تلك الاتجاهات الأربعة: أحدها هو اتجاه الفلسفة التحليلية التى تعنـــى أكثر ما تعنى بفلسفة العلوم والتى هى الفلسفة السائدة فى بريطانيا، فمـــا دامت تصب اهتمامها على التفكير العلمى، فهى بالتـــالى تقـــصر ذلـــك الاهتمام على ما هو ذو صلة بحياة الإنسان هنا على هذه الأرض، وثانيها هو اتجاه الفلسفة البرجماتية الذى له الـــسيادة فـــى الولايـــات المتحـــدة الأمريكية وأساسه هو أن الفكرة تعد صحيحة إذا كانت نتائجهـــا نافعـــة للإنسان، فليس المهم هو أصل الفكرة من أين جاءت وكيف جاءت؟ بـــل المهم هو ماذا عساها أن تثمر للإنسان من نتائج تنفعه فى حياته، وثالثهـــا هو اتجاه الفلسفة الوجودية فى غربى أوروبا، ومدار تلك الفلسفة حريـــة الإنسان فى القرار الذى يتخذه لنفسه ليكون بعد ذلك مسئولا عنه مسئولية خلقية، ورابعها هو اتجاه الفلسفة المادية الجدلية السائدة فى شرقى أوروبا، ومحورها هو أن الحياة الثقافية كلها بما فيها القيم الأخلاقية والجمالية، إنما تولدت عن الحياة الاقتصادية من زراعة أو تجارة وصناعة، فإذا غيـــرت من أسس الحياة الاقتصادية المادية، تغيرت بالتالى دنيا الثقافة، وإذن ففى

مقدورنا أن نشكل العلاقات الاقتصادية تشكيلا ينتهى بنا إلى إقامة حيـــاة إنسانية تصون للإنسان حقوقه.

ويبين لنا مفكرنا أن الفكر فى الغرب إذا كان اتجاهه وهمه الأول هو صون الإنسان من العوامل التى كانت تطحنه طحنا وتقهره قهرا، فإنه من الضرورى إذن العمل على نشر مثل هذا الفكر فى بلادنا وذلك حتـــى نتمكن من توفير وتقديس مكانة الإنسان وكرامته، بل لا مفر مـــن قبـــول النتائج الفرعية التى تنبثق فى تلك الجذور ومنها ما هو خاص بـــالنظرة العلمية الواقعية إلى الأمور، مادامت أمورا لا صلة لها بمشاعر الإنـــسان الخاصة، ومن هنا جاءت دعوة زكى نجيب محمود إلى الأخـــذ الـــصارم بالنظرة العلمية التجريبية مفرقا فى حياة الإنسان بين مجـــالين،: مجـــال التفكير العلمى بكل تفريعاته، ومجال الحياة الوجدانية بشتى جوانبها، فمـــا يصلح لذلك لا يصلح لهذا، فلكل منهما مواقف ولكل منهما معايير للرفض أو القبول.

ويقينى أن المهاجمين لفكر زكى نجيب محمود، واتجـــاه زكـــى نجيب محمود، إذا كانوا قد وضعوا فى اعتبارهم هذه التفرقة عند مفكرنا

لجنبوا أنفسهم الهجوم عن جهل أو عن تجاهل، وكم أساء الكثيرون إلـــى العديد من أفكار مفكرنا وخاصة تلك التى قال بها فـــى كتابـــه: خرافـــة الميتافيزيقا ولم يضعوا فى اعتبارهم أنهم أخطأوا نتيجة لتـــسرعهم فـــى الهجوم دون مبررات معقولة يستندون إليها، إنهم لم يضعوا فى اعتبارهم تأكيدات مفكرنا المستمرة على هذا المعنى، وهذه التفرقة، يقول مفكرنـــا (قصة عقل ص١٤٠): الإيمان بضرورة اللجوء إلى العقل وإلى العلم الذى هو فى الحقيقة تجسيد للعقل فى رسم السبل الناجحة، يتضمن إيمانا بقدرة العقل الإنسانى على الاضطلاع بما خلقه الله من أجله، لكن هل هذه الوقفة هى التى لها السيادة فى حياتنا؟ كلا، فنحن نفاخر سائر الدنيا بأننا أصحاب عقول عامرة بوجدانها، لا فرق فى ذلـــك بـــين أن يكـــون الموضـــوع المعروض للمعالجة مما تنفع أو لا تنفع فيها القلوب ووجدانها، ومن ثـــم كانت دعوتى التى ما فتئت أكررها، بوجوب التفرقـــة الواضـــحة بـــين مجالين: مجال لا يصلح له إلا العقل بكل رصانة، ومجال آخر من حـــق المشاعر أن تشتعل فيه ما شاءت لها حرارتها.

إن مفكرنا لم يقف فى دراسته لقضية التجديد، وخاصة من خلال كتابيه " تجديد الفكر العربى،" والمعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى" عند التراث لمجرد إنه تراث، كما أنه لم يرفض التراث جملة وتفصيلا، نعم لم يرفض التراث من أساسه كما يزعم نفر من المتسرعين وأشباه الدارسين الذين حشروا أنفسهم بين الدارسين للفكر الفلسفى، والفكر منهم براء، وليرجع القارئ إلى القسمين اللذين يتألف منهما كتابه الرائع " تجديد الفكر العربى" وخاصة الفصل التاسع من القسم الثانى وموضوعه " قيم باقية من تراثنا" ، وأيضا فليرجع إلى القسمين اللذين يتألف منهما كتابه " المعقول واللامعقول" إنه يضرب أمثلة من التراث، ولا يضرب أمثلة فى الهواء الفارغ، إنه يدرس التراث دراسة عميقة وبعد ذلك يرتضى لنفسه أن يقف منه موقف المؤيد لبعض ما فيه من قيم تتفق مع العقل، وموقف المعارض لما فيه من قيم تعبر عن شطحات اللاعقل.

إن أبرز ما يميز مفكرنا العملاق، إنما هو حسه النقدى، والذى ظهر بأجلى صوره فى موقفه من الفكر العربى وكيف نوجه مواكبه بين هذا الفكر وبين تيار العصر والحضارة.

إنه يقول فى كتابه قصة عقل (ص٢١٧): لقد قرأت ما قرأته (التراث العربى) ليكون حكمى عليه قائما على معايير عصرنا نحن، من حيث انتفاع الناس به وعدم انتفاعهم، إننى قرأت ما قرأته من التراث العربى قراءة مثقف يعيش فى القرن العشرين، ويتنفس فى مناخ حضارى له خصائصه ومقوماته، ويريد أن يرى الحبل موصولا بينه وبين أسلافه، لكنه فى الوقت نفسه يشعر بأنه ما كل ما عاشه أولئك الإسلاف صالح له هو ولزمانه ولكنه لابد بحكم طبائع الأمور ذاتها، أن يكون فى حياة الأسلاف كذلك ما يجوز – بل ما يجب – أن يبقى ليبقى الرباط.

إن المعيار الذى على أساسه نقبل موقفا من التراث ونرفض موقفا آخر، إنما يتمثل فى العقل وأحكامه، كما يتمثل فى مدى ملاءمته لروح العصر وحضارته.

لقد أخلص مفكرنا العملاق للبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة إخلاصا لا حد له أن يقول: إن قضية الجمع بين أصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ربما كانت أهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير

والكتابة، لقد أصبحت على يقين من أن هذه المسألة هى أم المسائل الثقافية جميعا، إنها القضية التى يصح أن نقول حيالها قولة هاملت فى أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال. (قصة عقل ص٢٢٢).

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذاً ومفكرا وأديباً. إنك لن تستطيع فهم لب فكره، لب مذهبه، إلا إذا قرأت كل ما كتب سطرا سطرا بل كلمة كلمة. لقد دخل تاريخنا الفكرى والثقافى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها،. لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور، وترك لنا ثروة فكرية فلسفية أدبية غاية فى العمق. ولن يستطيع مفكر أو أديب أن يغفل أو يتغافل عن هذه الثروة التى تعد من أغلى كنوز العالم، إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار، أبدعه قلم يعلم تماما أثر الكلمة المكتوبة وخطرها. نعم إنه يعد عظيما بين العظماء، عملاقا بين العمالقة. تبدد كلماته وأقواله ظلام الجهل سعيا وراء نور المعرفة، نور العقل، نور الضياء الذى يهدينا فى حياتنا، وإذا اختلف البعض حول فكره وآرائه. فإن هذا الخلاف فى حد ذاته يدلنا على أن أفكاره تعد حية وليست أفكاراً ميتة،

إن الأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكار شامخة، أفكار تؤدى إلى إيقاظ العقول حولها. أفكار المسافة بينها وبـــين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن، إنه رائـــدنا ومفكرنا العظيم، إنه زكى نجيب محمود، الذى تعد كتاباته كلها دعوة إلى التمسك بتيار العصر والحضارة، تيار التجديد، تيار العقلانية ، تيار الفكر العلمى، لقد درس من خلال هذا التيار ، القضايا الفكريـــة فـــى حياتنـــا المعاصرة، وظل مخلصا فى دراستها حتى وفاته كما أشرنا فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣.

أقول هذا ولابد من القول به؛ لأننى عرفت الرجـــل عـــن قـــرب وقرأت كل ما كتب، وعشت مع ترجماته لكتب لا حصر لها وتعد غايـــة فى الأهمية وحللت كل أبعاد معاركه الفلسفية والأدبية والفكرية. وبحيـــث أقول وبعد أن دعانا الرجل من خلال كل ما كتب إلـــى التركيـــز علـــى المستقبل،أى النظر إلى الأمام وليس إلى الخلف، فالنظر إلى الأمام أهـــم خصائص المجدد، فى حين أن الرجوع إلى الوراء هو ما نجده عند المقلد

والذى يريد أن يقف عند التراث القديم لمجرد أنه تراث، دون أن يضع فى اعتباره أن التراث يعد مليئاً بآلاف الأخطاء ؛ لأنـــه إنتـــاج بـــشر غيـــر معصومين من الخطأ، إنه بشر مثلى ومثلك أيها القارئ العزيـــز؛ ولكـــن ماذا نفعل لأناس يجدون سعادتهم فى حياة الكهوف والمغارات كما يفعـــل الخفافيش أنصار الظلام والأماكن المهجورة.

وفى سبيل سعى مفكرنا نحو الرؤية المستقبلية التنويرية، نجـــده يخوض العديد من المعارك الفكرية ومن بينها معركة العلمانية، ومعركـــة الحجاب ، ومعركة أخلاق القرية، ومعركة خرافة الميتافيزيقا ، والأصالة والمعاصرة، والتطرف الدينى والمناقشات البيزنطية، وحقيقـــة تـــدريس الفلسفة فى مدارسنا وجامعاتنا... إلى آخر المعارك الفكرية والتى تكشف لنا عن عقلية رائدة، عقلية مستنيرة، قل أن نجد لها نظيرا علـــى امتـــداد تاريخنا الفكرى العربى المعاصر.

وكم دعانا مفكرنا العملاق فى سبيل السعى نحو الرؤية المستقبلية التى تقوم على التنوير، إلى أن ننظر بعقولنا، وإلى أن ننظر بعين العصر

حين دراسة تراث الأقدمين. لقد ذهب فى كتابه " المعقول واللامعقول" إلى أننا نعد أحراراً إذا اخترنا من التراث العربى المعقول وحده، لأن المعقول وليس اللامعقول هو الذى يجاوز حدود زمانه ومكانه، فما قد قبله العقل يوماً، فإنه يقبله كل يوم، وأما ما أرضى اللاعقل فينا يوماً، فقد لا يرضيه حين تتغير الظروف.

إن وصل الحاضر بالماضى – فيما يرى مفكرنا – لا يتحقق إلا عن طريق الجانب العاقل وإذا كنا نجد نوعين للكتابة فى الماضى: إحداهما أن ينظر المؤرخ للعصر الذى يؤرخ له بأعين أبنائه ومن خلال ظروفه، والأخرى أن ينظر إليه بعين عصره فقد أختار أستاذنا – فيما يقول باستمرار – الطريقة الثانية فى النظر إلى تراث الأقدمين، وهذا قد يساعد على إيجاد رؤية مستقبلية تنويرية.

دعانا الدكتور زكى نجيب إلى فتح النوافذ على الفكر الغربى وبحيث نمزج بينه وبين فكرنا العربى، وعلى وجه التحديد المعقول منه. إن عدم فتح النوافذ يؤدى إلى جمود الفكر .. يؤدى إلى الظلام وبئس المصير، لقد خاض عدة معارك حول ما يطلق عليه "الغزو الفكرى" ويبين

لنا أنه لا يوجد ما يسمى بالغزو الفكرى؛ بل إن الفــرد منـــا إذا هـــاجم الحضارة الغربية فإن سلوكه يفضح أقواله . فليس بالإمكان أن نـــستغنى عن منجزات الحضارة الغربية وهل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال ميكرفون، والميكرفون من ثمار الحضارة؟ هل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال صفحات كتاب مطبوع، والمطبعة ثمرة من ثمرات الحــضارة؟ وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين لنا انفتاح الدكتور زكى نجيــب علـــى طريق العلم، طريق الحضارة ، طريق التنوير. وكم قارن بـــين حركـــة الترجمة فى العصر العباسى، وبين ما فعله رفاعة الطهطاوى فى مجـــال الترجمة والاهتمام بها.

واهتمام رائدنا زكى نجيب بالفكر العربى، يعد اهتماماً لا حد له . أقول هذا وأؤكد على القول به وذلك رداً من جانبى على أناس من أشـــباه الدارسين، والذين يزعمون أن اهتمامه قد جاء عارضاً ولم يكن أصـــيلاً. لقد كتب عن جابر بن حيان منذ ما يقرب من نصف قرن مـــن الزمـــان. كتب عن الشرق الفنان كما أشرنا وكتب عشرات الكتب فى مجال فكرنـــا

العربى ، الأدبى منه والفلسفى، وذلك خلال أكثر من ثلاثين عاماً. فهل نقول بعد ذلك إن اهتمامه جاء عارضا؟ كلا ثم كلا.

لقد ظل الرجل طوال حياته الفكرية مدافعاً عن الرؤية المستقبلية وكتب آلاف الصفحات فى هذه المجالات، ومن بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر: المنطق الوضعى، ونحو فلسفة علمية، وشروق من الغرب، وقشور ولباب، والثورة على الأبواب. وفى مجال الفكر العربى: تجديد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وثقافتنا فى مواجهة العصر. أليست هذه الكتب وعشرات أخرى من كتبه تعد دستوراً لنا نحن العرب، إذا أردنا تجاوز الماضى والحاضر، وأردنا البحث عن مستقبل أكثر إشراقاً وضياء؟ نعم ثم نعم. إن واجبنا المقدس ترك الظلام وبحيث ننشد النور والضياء فى كل زمان وكل مكان.

ويرى زكى نجيب محمود " أن ثقافة الفرد أو ثقافة الشعب فى مجموعه لم تخلق للزينة والزخرف والمباهاة والتفاخر، وإنما لكى تكون أداة فعل حقيقى على أرض الواقع وتحت سمائه. إنه الفعل الذى يمهد السبيل نحو الصحة والقوة والعلم والإبداع. فليس المهم فى الحياة الثقافية

أن نقول: هذه ثقافتنا وتلك ثقافة الغرباء، وإنما المهم هو أن نقـول هـذا عنصر ضعيف فى بنائنا الثقافى لا يؤدى بنا إلى عزة فلنستبدل به ذلـك العنصر لأنه أفعل أثراً. ومن الواضح أن الدكتور زكى نجيـب محمـود ينادى بالربط بين العلم والعمل، بين النظر والسلوك. وهـذا يعـد شـيئاً متوقعاً إذ أنه يضع يديه على أسباب ضعف الأمة العربية، كما أنه أيـضاً يعد متأثراً بالثقافة الإنجليزية والثقافة الأمريكية البرجماتية.

إن الفكر فى الغرب إذا كان اتجاهه الأول هو صون الإنسان من العوامل التى كانت تطحنه وتقهره قهراً، فإنه من الضرورى إذن العمـل على إيجاد مثل هذا الفكر فى بلادنا؛ وذلك حتى نتمكن من توفير وتقديس مكانة الإنسان وكرامته، بل لا مفر من قبول النتائج الفرعية التى تنبثـق من تلك الجذور ومنها ما هو خاص بالنظرة العلمية الواقعية إلى الأمـور مادامت لا صلة لها بمشاعر الإنسان الخاصة. ومن هنا جاءت دعوة زكى نجيب محمود إلى الأخذ الصارم بالنظرية العلمية التجريبية مفرقاً فى حياة الإنسان بين مجالين: مجال التفكير العلمى بكل تفريعاته ومجـال الحيـاة الوجدانية بشتى جوانبها، فما يصلح لذلك لا يصلح لهذا . فلكـل منهمـا

مواقف ولكل منهما معايير للرفض أو القبول، وهذا كله فيما نـرى إنمـا جاء من منطلق رؤية مستقبلية تقوم على النور والتنوير.

لقد أدرك الرجل بثاقب نظره ومـن منطلـق إيمانـه بالرؤيـة المستقبلية التنويرية أنه ليس من المفيد إطلاقاً لأمتنا العربية الوقوف عند التراث لمجرد أنه تراث، والبكاء على الأطلال؛ لأن التراث يعـد نتاجـاً لأفراد مثلى ومثلك أيها القارئ العزيز. والبشر ليسوا كالقديـسين. إنهـم معرضون للخطأ فى كل زمان وكل مكان وبحثوا فى قضايا ومـشكلات عفا عليها الزمن وأصبح بعضها غير مناسب إطلاقاً لعصرنا الذى نحياه ولمستقبلنا الذى ننشده وبحيث يكون أفضل من الماضى ومـن الحاضـر أيضاً. بل نقول من جانبنا إن التراث الذى يحلو للبعض إقامـة هـالات المجد حوله، نجد فيه كماً من الأخطاء لا أكون مبالغاً إذا قلت إن عـددها يفوق عدد سكان الدول العربية من مشرقها إلى مغربها.

غير مجد فى ملتى واعتقادى إهمال أفكار زكى نجيب. لقد قـال بما قال به من منطلق رؤية تنويرية مستقبلية تريد لمصر التقـدم دومـاً، وتريد للعرب أن يصيروا إلى حالة أفضل من حالتهم فى الماضى وحالتهم

فى الحاضر. لقد قال زكى نجيب فى مقالة نشرت بالأهرام منذ زمان طويل إن العبرة بالتكنولوجيا وليس بالكلامولوجيا. والتكنولوجيا نجدها فى الغرب بصفة خاصة، أما عندنا نحن العرب، فنجد السائد هو الكلامولوجيا، وذلك حين يتكلمون ويسرفون فى الكلام حول قضايا لفظية ومشكلات زائفة خادعة، ويتكلمون فى الخرافة أكثر بكثير جداً فى كلامهم عن العلم وتطبيقاته التكنولوجية.

لقد أشرنا أكثر من مرة إلى إيمانه بأهمية العلم. ولنقرأ ما يقوله فى السطور الأولى من كتابه المنطق الوضعى. أنا مؤمن بالعلم، كافر بهذا اللغو الذى لا يجدى على أصحابه ولا على الناس شيئاً . وعندى أن الأمة تأخذ بنصيب من المدنية يكثر أو يقل بمقدار ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه.

ومن النادر أن نجد مفكرا عربيا معاصرا اهتم بالقضية الكبرى، قضية الحوار بين الحضارات، مثل ما نجده عند هرم ثقافتنا العربية، وعملاق الفكر العربى المعاصر، زكى نجيب محمود فإن من الواجب علينا أن نشير إلى نماذج من رؤيته فى مجال حوار الحضارات.

لقد كان موضوع الحوار بين الحضارات، أبرز الموضوعات التى كانت تشغل فكر رائدنا العملاق. ومن المؤسف أن أشباه الدارسين لفكـره وممن يقفون عند السطح ولا ينفذون إلى الجوهر والأساس، يدفعهم الكسل العقلى إلى الوقوف عند كتاب تجديد الفكر العربى لزكى نجيب محمـود، ولا يضعون فى الاعتبار أن اهتمام زكى نجيب بفكرنا العربى قد بدأ منذ السنوات الأولى لكتاباته الأدبية والفلسفية والعلمية. ألم تكـن أول مقالـة كتبها. هى مقالة بعنوان: هجرة الروح ألم يكن كتابه عن جابر بن حيـان سابقا فى الزمان على كتابه: تجديد الفكر العربى. ثم من الذى قال إن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد فى مشروعه الفكرى والثقافى كلا ثم كلا أيهـا السادة القراء. أن من يقولون بذلك، يعد قولهم نوعا من التزوير الفكرى. لأنهم لم يفهموا سطرا واحدا فى كتب كثيرة لم تدخل فى صميم التجديـد والحوار والعلم والعقلانية ومن أمثلتها وعلى سبيل المثـال لا الحـصر: بذور وجذور. والشرق الفنان والذى نال إعجاب توفيق الحكيم ، وعربى بن ثقافتين، وشروق من الغرب، ومجتمع جديد أو الكارثة ...الخ.

بل وأن المصيبة الكبرى والكارثة العظمى التى نجدها عند هـذا الفريق من أشباه الدارسين ومتخلفى العقول، أن آخر كتبه، وهـو كتـاب حصاد السنين. يعد من أبرز كتبه فى مجال التأكيد علـى الحـوار بـين الحضارات وضرورة الاستفادة من فكر الغرب. نقول هذا ولابد من القول لأننا مازلنا نجد على أرضنا الثقافية من يفسد فيها، وإن كان أكثـرهم لا يعلمون. بل إن مفكرنا الكبير زكى نجيب فى العديد من كتبه التـى أورد فيها سيره حياته الفكرية، بالإضافة إلى حصاد السنين. ونعنى بها كتابـه قصة نفس، وكتابه قصة عقل. كان من خلالها مهموما بالبحث فـى كـل جوانب القضية الكبرى. قضية أن أكون أو لا أكـون. قـضية الحـوار والتواصل بين الحضارات، ولكن ماذا نفعل حيال أناس يقفون عند ظاهر السطور. لأنهم لا يملكون القدرة على النفاذ إلى ما وراء السطور. يقفون عند السطح. لأنهم لا يملكون القدره على الدخول إلى أعمق أعماق فكـر زكى نجيب محمود، وما أعظمه من فكر ولكن ماذا نفعل بالنسبة لأنـاس تحسبهم أساتذة وما هم بأساتذة، بل أشباه أساتذة، وأشباه باحثين.

لقد دعانا زكى نجيب محمود من منطلق إيمانه بحوار الحضارات إلى ضرورة التعرف على فكر الغرب والاستفادة منه، وقام مـــن جانبـــه بترجمة العديد من الكتب ترجمه تعد غاية فى الدقة والأمانة ومن بينها – على سبيل المثال لا الحصر الجزء الأول والثانى من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى المعاصر برتداند رسل ومجموعة أجزاء من الموسوعة الضخمة، قصة الحضارة للمفكـــر الأمريكـــى ول ديورانـــت. وكتاب المنطق للفيلسوف الأمريكى جون ديوى. ومجموعة من محاورات أفلاطون، لقد شملت ترجمة التراث القديم والفكـــر الحـــديث والمعاصـــر أيضا. وهذا يعد من جانبه اعترافا بقيمة الترجمة ودورها فى التنوير تماما كما حدث فى العصر العباسى. وما حدث أيـــضا فـــى عـــصر النهـــضة الأوربية.

كان الدكتور زكى نجيب محمود فى دعوته إلى حوار الحضارات حريصا الحرص كله على أن يبين لنا أهمية الاستفادة من أفكـــار الأمـــم الأخرى، أى الانفتاح على حضارة الغرب. إننا نجد ذلك واضحا سواء فى

كتبه الفلسفية والكتب التى يغلب عليها إنها تعالج موضوعات أدبية، نعـم إننا نجد هذا واضحا تمام الوضوح فى كتب عديدة تركهـا لنـا هرمنـا الفكرى الشامخ، زكى نجيب محمود ومن بينها: الشرق الفنـان، وتجديـد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وحياة الفكر فـى العـالم الجديـد، وبرتداند رسل، وديفيد هيوم، والمنطق الوضعى، ونحو فلـسفة علميـة، وجنة العبيط، وشروق من الغرب، وقشور ولبـاب، ومجتمـع جديـد أو الكارثة، والثورة على الأبواب، ومن زاوية فلسفية، وفى حياتنـا العقليـة وفى فلسفة النقد، وهموم المثقفين، وثقافتنا فى مواجهة العـصر، وقـصة نفس، وقصة عقل... إلى آخر تلك الكتب التى نجد فيها كما قلت دعـوة إلى الأخذ بأسباب العلم وأسباب الحضارة كما دعانا إلى ذلك أيـضا فـى آخر كتبه حصاد السنين... إن هذه الكتب وغيرها من مقالات ودراسـات تقوم على إيمانه بحوار الحضارات لقد انطلق مفكرنا وبكل ما يملك مـن وقت وجهد نحو البحث فى مشكلة حوار الحضارات مشكلة الحوار وليس الصدام بين الحضارات . لقد أخلص للبحث فى هذه الموضوعات إخلاصا

لا مثيل له، اهتم بالبحث فى هذه القضايا التى ترتبط كل قضية بالأخرى وتقترن بها، أكثر من أربعين عاماً. ولقد أكد لى فى لقاء تم بيننا بمنزلـــه قبل رحيله منذ سنوات على ما سبق أن ذكره فى كتابه، قصة عقــل، إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية وذلك لكى يقيم حوارا بين الحضارات قد بدأ فى عام ١٩٥٦، ثم صاغ الفكرة فى عـــام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب الشرق الفنان. إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير أى خطـــة بحث فى المشكلة التى وهب لها عمره مشكلة الأصالة والمعاصرة ومـــا يدور حولها من البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفـــضل الصيغ أو الحلول المناسبة، والبحث أيضا فى كيفية مواكبة تيار الحضارة، والحضارة الغربية منها على وجه الخصوص، وذلك لكى يتم الحوار بين الحضارات.

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذا ومفكرا وأديباً نقول هذا وبـــصرف النظر عن اتفاقنا من جانبنا معه فى الكثير واختلافنا معه فى القليل أنك لن تستطيع فهم لب فكره ولب مذهبه حول حوار الحضارات إلا إذا قرأت كل

ما كتب سطراً سطراً بل كلمة كلمة لقد دخل تاريخنا الفكــرى والثقــافى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها.

لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور، وترك لنا ثروة فكريـــة فلسفية أدبية غاية فى العمق ولن يستطيع مفكر أو أديب أن يغفل أو يتغافل عن هذه الثروة إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار سعيا وراء نور الضياء الذى يهدينا فى حياتنا. إن أفكاره تعد حية وليست أفكـــارا ميتـــة والأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكـــار شامخة أفكار تؤدى إلى إيقاظ العقول حولها أفكار المسافة بينهـــا وبـــين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن أنه رائـــدنا ومفكرنا العظيم إنه زكى نجيب محمود الذى تعد كتاباته كلها دعوة إلـــى التمسك بتيار العصر والحضارة تيار التجديد تيار العقلانية إنهـــا أفكـــار تدعو إلى نور الحياة وبحيث تكون بعيدة تماما عن ظلام العدم وما يرتبط بالظلام من الصعود إلى الهاوية والعياذ بالله إن أفكاره حـــول ضـــرورة الحوار بين الحضارات يجب أن نضعها فى اعتبارنا إذا أردنـــا تـــصور

إيديولوجية عربية تقوم على رفض كل الأفكـار الزائفـة مثـل القـول بالتعارض بين التقدم العلمى والأخلاق والهجوم على الحضارة الأوروبية وإغلاق النوافذ أمام الحضارات الأخرى نعم إنها أفكار زائفة كشف عـن فسادها مفكرنا الراحل زكى نجيب محمود.

الفصل الثالث

نماذج من أفكار الرجل من خلال بعض مؤلفاته

عربى بين ثقافتين

إذا كان مفكرنا العملاق قد دعانا إلى أن ننظر بعقولنا، وأن ننظر بعين العصر حين دراسة تراث الأقدمين فإننا نجد ذلك فى العديـد مـن كتبه. لقد ذهب فى كتابه المعقول واللامعقول إلى أننا نعـد أحـراراً إذا اخترنا من التراث العربى المعقول وحده، لأن المعقول وليس اللامعقـول هو الذى يجاوز حدود زمانه ومكانه، فما قد قبله العقل يوماً، فإنه يقبله كل يوم، وأما ما أرضى اللاعقل فينا يوماً، فقـد لا يرضـيه حـين تتغيـر الظروف.

إن وصل الحاضر بالماضى- فيما يرى مفكرنا – لا يتحقـق إلا عن طريق الجانب العاقل وإذا كنا نجد طريقتين للكتابة فـى الماضـى: إحداهما أن ينظر المؤرخ للعصر الذى يؤرخ له بأعين أبنائه ومن خلال

ظروفه، والأخرى أن ينظر إليه بعين عصره، فقد اختار أستاذنا – فيما يقول باستمرار – الطريقة الثانية فى النظر إلى تراث الأقدمين.

ويدعونا الدكتور زكى نجيب إلى فتح النوافذ على الفكر الغربى وبحيث نمزج بينه وبين فكرنا العربى، وعلى وجه التجديد المعقول منه. إن عدم فتح النوافذ يؤدى إلى جمود الفكر، يؤدى إلى الظلام وبئس المصير. لقد خاض عدة معارك حول ما يطلق عليه " الغزو الفكرى" وبين لنا أنه لا يوجد ما يسمى بالغزو الفكرى، بل إن الفرد منا إذا هاجم الحضارة الغربية، فإن سلوكه يفضح أقواله. فليس بالإمكان أن نستغنى عن منجزات الحضارة الغربية، وهل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال ميكرفون، والميكرفون من ثمار الحضارة ؟ هل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال صفحات كتاب مطبوع، والمطبعة ثمرة من ثمرات الحضارة؟ وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين لنا انفتاح الدكتور زكى نجيب على طريق العلم،طريق الحضارة، طريق التنوير. وكم قارن بين حركة الترجمة فى العصر العباسى، وبين ما فعله رفاعة الطهطاوى فى مجال الترجمة والاهتمام بها.

واهتمام رائدنا زكى نجيب بالفكر العربى، يعد اهتماماً لا حد له. أقول هذا وأؤكد على القول به وذلك رداً من جانبى على أناس من أشـباه الدارسين، والذين يزعمون أن اهتمامه قد جاء عارضاً ولم يكن أصـيلاً. لقد كتب عن جابر بن حيان منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان. كتب عن الشرق الفنان. كتب عشرات الكتب فى مجال فكرنا العربى، الأدبـى منه والفلسفى، وذلك خلال أكثر من ثلاثين عاماً. فهل نقول بعد ذلـك إن اهتمامه جاء عارضاً؟ كلا ثم كلا. وأقول باستمرار: إننا إذا كنا نجد أناساً من أشباه المثقفين ومن ذوى الثقافة السطحية، يحلو لهـم الهجـوم علـى بعض أفكار رائد فكرنا العربى زكى نجيب محمود وبحيث يسيئون فهـم أفكاره، فإننى أقول لهم: لكم دينكم ولنا دين. قلنا إن زكى نجيب محمود قد جعل قضيته الكبرى– وكما أشار توفيق الحكيم بحق– هى قضية الأصالة والمعاصرة، والدعوة إلى المعقول وتحديد أسباب رفض اللامعقول .

ونجد تأكيداً على هذه المعانى كلها فى كتابه "عربى بين ثقافتين". إن هذا الكتاب يثير العديد من القضايا البالغة الأهميـة والتـى لا يمكـن

الفصل بينها وبين القضايا الحيوية التى أثارها فى العديد من كتبه وخاصة " تجديد الفكر العربى"، و " المعقول واللامعقول"، "وثقافتنا فـــى مواجهـــة العصر".

ومن القضايا التى يثيرها كتابه الأخير "عربى بين ثقافتين"، "أيـــن نضع المبادئ"، "والعروبة موقف"، " وهذا هو عصرنا"، و " العربى بـــين ماضيه وحاضره، " "ومن إشعاعات التوحيد،، "ومعنـــى جمـــود الفكـــر"، "وصورة الإنسان"، "والثقافة العربية إلى أيـــن؟... إلـــى آخـــر القـــضايا والمشكلات الحيوية التى يثيرها هذا الكتاب النفيس والذى تزيد صـــفحاته عن أربعمائة صفحة.

ويقول المؤلف فى الصفحات الأولى من كتابه: إن هـــذا الكتـــاب الذى أقدمه بين يدى القارئ قد احتوى على جهد مكثف فى مجال إيجـــاد صيغة ثقافية للمواطن العربى الجديد، يصطبغ بلون خاص إذا قورن بغيره من الجهود السابقة، إذ اختار المؤلف مجموعة من الزوايا التـــى تـــصلح للإطلال منها على مواضع اختلاف جذرية بين الثقافة العربيـــة والثقافـــة الغربية أدت إلى مذاقين مختلفين لحياة الإنسان. وذلك تمهيداً للنظر مـــن

جديد نظرة فاحصة، فربما تبين أن ما حسبناه اختلافا يضرب إلى الجذور ويستحيل على المصالحة والتوفيق، إنما هو فى حقيقته أكثر مرونة مما حسبنا، بحيث يصبح فى حدود المستطاع أن نقترح صيغة تجمع الطرفين دون تضحية بما هو أساسى وجوهرى فى كل من الطرفين.

ويبين لنا رائدنا الكبير فى الفصل الأول من كتابه، أن ثقافة الفرد أو ثقافة الشعب فى مجموعه لم تخلق للزينة والزخرف والمباهاة والتفاخر، وإنما لكى تكون أداة فعل حقيقى على أرض الواقع وتحت سمائه. إنه الفعل الذى يمهد السبيل نحو الصحة والقوة والعلم والإبداع. فليس المهم فى الحياة الثقافية أن نقول: هذه ثقافتنا وتلك ثقافة الغرباء ، وإنما المهم هو أن نقول هذا عنصر ضعيف فى بنائنا الثقافى لا يؤدى بنا إلى عزة فلنستبدل به ذلك العنصر لأنه أفعل أثراً.

ومن الواضح أن الدكتور زكى نجيب محمود ينادى بالربط بين العلم والعمل ، بين النظر والسلوك. وهذا يعد شيئاً متوقعاً إذ إنه يضع يديه على أسباب ضعف الأمة العربية، كما أنه أيضا يعد متأثراً بالثقافة الإنجليزية والثقافة الأمريكية البرجماتية.

ويحلل مفكرنا الكبير فكرة المبادئ تحليلاً دقيقاً. وهذا أيضاً يعـد شيئاً متوقعاً وخاصة أن مفكرنا زكى نجيـب محمـود قـد كتـب آلاف الصفحات عن التحليل المنطقى والفلسفى وإنه يضرب مثالاً بلفظ الجمـال وكيف يستخدمه الناس فى حياتهم ويحكى لنا عن قراءته لكتاب الجمـال والجلال لابن عربى. ويبين لنا أنه إذا كان مفهوماً لنا أن نصف بالجمال غادة حسناء وزهرة وبستانا، فإن الذى يوصف بالجلال من حيـث هـو مصطلح فلسفى فى هذا المجال، البحر والصحراء والجبل والمبنى الضخم ذو الأعمدة الشامخة ، فبينما تثير موضوعات الجمـال مـشاعر الرقـة والتناسق، فإن ما تثيره موضوعات الجلال هو الشعور بالعظمة والقـوة واللانهاية.

ويأخذ مؤلفنا فى تحليل فكرة ابن عربى وتمييـزه بـين الجمـال والجلال وكيف تجيئ آيات الجمال وآيات الجلال فـى القـرآن الكـريم متعاقبتين فواحدة من هذه تتبعها واحدة من تلك ، ويبين لنا كيف تتفـاوت درجة الدقة فى تحديد المعنى بين قيمة الحق فى مجال المعرفة والعلـم، وقيمة الجمال فى مجال الجانب الوجدانى من حياة الإنسان، فبينمـا نجـد

معايير الصدق العلمى على درجة من الدقة مكنت المشتغلين بالعلوم مـــن الاتفاق على ما هو صحيح مقبول وما هو خطأ مرفوض، نرى تعذر ذلك فى المجال الوجدانى، فما تستريح له النفس عند زيد يكـــون هـــو نفـــسه مصدر القلق عند خالد وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين دقة كاتبنـــا فـــى مجال التحليلات اللغوية والفلسفية وحرصه على الرجوع إلى كتب تراثنا فى العديد من المجالات الفكرية والأدبية.

ويعطينا كاتبنا أكثر من فرق بين "المبدأ" فى مجال العلوم والمبدأ فى مجال الأخلاق. فالمبدأ فى الحالة الأولى ليس مطلوباً لذاته بقدر ما هو مطلوب للنتائج التى تتولد عنه أى أنه وسيلة توصلنا إلى غاية وليس هـــو نفسه الغاية التى نريد الوصول إليها، كالطبيب الذى يقوم بالتشخيص لأجل العلاج، أما المبدأ فى عالم الأخلاق فإنه نقطة بدء وأيضاً يشير إلى الغاية المراد الوصول إليها فإذا كان المبدأ، التمسك بالحق والصبر، فهو أيـــضاً المنتهى لأن غاية الغايات هى أن ينشأ مجتمع قائم على حـــق لا يـــشوبه باطل.

يضاف إلى ذلك الفرق، فرق آخر، وهو أن معظم المبادئ الخلقية جاءت إلى الناس وحياً من رسالات السماء وليست من صنع البشر، بالإضافة إلى أننا نجد طائفة أخرى من مبادئ الأخلاق قد انبثقت للإنسان من واقع حياته العملية، كأن نقول مثلاً إننا نأخذ بمبدأ مجانية التعليم لجميع المواطنين إعمالاً لفكرة المساواة. فيكون أمامنا مجموعتان من المبادئ الخلقية. مجموعة نزلت وحياً ومجموعة أخرى نشأت من واقع الحياة الإنسانية. وإذا كان يباح للباحث العلمى أن يغير فروضه إذا ثبت له أنها فروض لا تؤدى إلى النتائج المطلوبة، فإنه فى مجال الأخلاق، من حق الإنسان أن يغير المبادئ الخلقية التى نشأت من واقع الحياة الإنسانية، وذلك إذا تغيرت صورة حياته العملية.

ويحلل كاتبنا الرائد فى فصل آخر من فصول كتابه، موضوع العروبة ويكشف عن خصائصها ويعطينا الكثير من الحقائق حول حقيقة العروبة. فالعروبة فى جوهرها موقف من الكون ومن الحياة يتميز مما عداه من مواقف تقفها الثقافات الأخرى.

فليست العروبة دالة على عرق معين بل هى اسم يتشربه علـــى مركب ثقافى معين من شأنه أن يهيئ لمن يتشربه ويعيش تحـــت مظلتـــه موقفاً يستلهمه عند ردود الفعل كلما صادفه على طريق الحيـــاة العمليـــة حدث مثير.

ويشير زكى نجيب محمود إلى حقيقة لغوية تلفت النظر عند مـــن يمعن النظر فى اللغة العربية. إنه يجد فى الأسماء الدالة علـــى علاقـــات اجتماعية بعداً خلقياً كامناً فى صميم معناها مما يدل على عمق النظـــرة الخلقية عند العربى . فكلمة صديق تقيم فى صلب حروفها صفة الصدق. وكلمة جار تحمل فى صلب مبناها أن يجير الجار جـــاره إذا اســـتجار. وكلمة صهر تحمل فى معناها صفة الانصهار . وكلمة مرء تقضى بحكم حروفها أن تكون المروءة صفة للإنسان. وكلمة أمة تشارك بحروفها كلمة أم مما يقضى أن تكون الروابط بين أبناء الأمة الواحدة هى نفسها روابط الرحم.

إن للعربى وقفته الأخلاقية والتى هى مستوحاة فى المقـــام الأول فى روح الصحراء فى لا نهائيتها البادية وفى ثباتهـــا النـــسبى. ومـــدار

الإبداع الفنى عند العربى صورة مجردة لتأثره بالصحراء وذلك قبـــل أن تنصب العناية على تحليل الأفراد، ومن هنا جاء الأدب العربى القديم أبعد ما يكون الأدب عن فن الرواية أو فن المسرحية كما عرفها الغرب. وهذا ينطبق على فن الشعر العربى.. إن الشاعر العربى يصف ما يراه المثـــل الأعلى، ولا يصف أساساً الكائن المفرد المعين.

يقول زكى نجيب محمود: إن الشاعر العربى فى عمـــق أعماقـــه متعلق بالمثال المجرد لا بالمثل الجزئى مما يرى علـــى الأرض وذلـــك استلهاماً لديمومة الحقيقة الصحراوية التى تحيط به.. فهو مؤمن فى حياته الفنية كما هو مؤمن فى حياته الدينية بأن "كل من عليها فان ويبقى وجـــه ربك". إنه يتكئ على هذه الواقعة الجزئية أو تلك لينفذ منها إلى مـــا هـــو أقرب إلى المثال الأفلاطونى فى الموضوع الذى يعالجه.

ويعطينا الكاتب الرائد العديد من الأمثلة والتى إن دلتنا على شـــئ فإنما تدلنا على عمق لا حد له وثراء ثقافى بغيـــر حـــدود. إنـــه يـــشعر بمسئوليته الكبرى كرائد عملاق ومفكر منقطع النظير إنه يعقد العديد من المقارنات بين فكرنا العربى وفكر الغرب، ويبين لنا أنه من العلوم الجديدة

وتطبيقاتها نشأت حرية أوسع أفقاً وأعمق غوراً ، حين تحـرر الإنـسان بفضلها من عوائق الطبيعة، لكن المصدر نفسه قد أدى إلى قيود من نوع جديد فرضت على الإنسان، كادت تفقده هويته وذاتيته لولا فنون جديـدة وآداب جديدة وبعض النظم الجديدة عملت كلها على إعادة التوازن. وهذا هو عصرنا بخيره وشره. ولست أطالب العربى بأن يسبح فى بحره عـن صمم وعمى، بل أطالبه بأن يشارك بنصيب فى الإمساك بعجلـة القيـادة ليحمل مع غيره تبعات عصر هو يعيش فيه.

إنها كلمات غاية فى الروعة لا تصدر إلا عن مفكر حكيم. كلمات يقولها زكى نجيب محمود فى آخر سطور الفصل الذى كتبه عن العروبة موقف وذلك فى كتابه " عربى بين ثقافتين وأعتقد من جانبى بـأن هـذه السطور تحل الكثير من الإشكالات التى تتعلق بقضايا الغـزو الفكـرى، والتقدم العلمى والأخلاق وغيرها من قضايا. إنه يمزج دواماً بين القـديم والجديد، بين الأصالة والمعاصرة. إنه يعطينا أمثلة عديدة فـى تاريخنـا الفكرى المعاصر ويذكر أمثال طه حسين ومصطفى عبد الرازق وعباس العقاد وأحمد شوقى وتوفيق الحكيم، ويرى إنه قد انقدحت لهـم شـرارة

الموهبة عندما مست مواهبهم كنوز الأقــدمين، وهكــذا يكــون العربــى الموهوب بين حاضره وماضيه. يقول مفكرنا ورائدنا: إن الذى نريده هو أن يتلقى العربى الجديد أعمال سلفه بالحب والنقد معاً لينشأ فى نفسه مــا يشبه الحوار ويمثل هذا الحوار الحى قد تنقدح شرارة الإحياء الذى يتلوه إبداع، فيكون فى هذه الحالة إبداعاً يحمل فى شرايينه دم الماضى، فيتلاحم ماض بحاضر فى نفس واحدة.

وينتقل بنا أستاذنا زكى نجيب إلى الحديث عــن الجــسور التــى عبرناها ويكتب فى هذا الموضوع عشرات الصفحات ويعطينــا مئــات الأمثلة التى تكشف عن سعة اطلاعه وإحاطته بالموضوع إحاطــة تامــة وكاملة. إنه يتحدث عن الصحوة الثقافية فى الأمة العربية والتى بدأتها فى أواخر الثلث الأول من القرن الماضى، ثم رأينا أعلام حياتنا الثقافية فــى النصف الأول من القرن العشرين، يمزجون فى وقفــتهم بــين مــوروث وغربى، أو بين غربى وموروث. إن كلهم تقريبــاً علــى علــم واســع بالموروث، وأيضاً على معرفة بتيارات الفكر الأوربى والأدب الأوربى. لكن ماذا نجد بعد ذلك للأسف الشديد ؟ نجد جيلاً جديداً ملأ الساحة وقــد

فقد القدرة اللغوية بشعبتيها العربية والأجنبية، فلا هـو يـستطيع قـراءة الأصول العربية فى عيونها ولا هو يستطيع أن يكون على صلة بما تنتجه ثقافة الغرب. وهذا يعد انهياراً فكرياً إذا قارنا بينه وبين كل مـا كـان يحدث فى الماضى.

ويبين لنا زكى نجيب محمود، أن الأمة العربية قد أقامت جسرين لم ينقطع العبور عليهما بينها وبين فكر الغرب منذ الثلـث الأول للقـرن الماضى وإلى يومنا هذا، أحدهما النقل عن طريق الترجمـة أو العـرض والتلخيص، والآخر هو الصلة المباشرة بين عرب يعبـرون إلـى بـلاد الغرب للدراسة أو للتجارة أو للسياسة أو غير ذلك من أهداف، وغربيين يعبرون من الغرب إلينا لتلك الأسباب المختلفة، ومن اللقاء الحى يحـدث التفاعل بين الثقافتين أخذاً وعطاء.

فمن الصحيح إذن أن نقول إن أستاذنا يدعو إلـى ثقافـة النـور والتنوير وينبهنا إلى خطورة أن نغلق علينا الأبواب والنوافذ . ولـك أن تراجع – فيما يقول زكى نجيب – ألمع الأسماء التى سطعت فى سـماء الفكر العربى لترى كم منها قد استمد النور فى هذا اللقاء الفكرى، ولـيس

بالضرورة أن يكون النور صادراً عن أخذ أفكار الفريق الآخر كما هـــى، بل قد يصدر النور من النقد والمعارضة.

ومن المنطقى أن يبين لنا زكى نجيب أســباب تأخرنـــا الفكـــرى الحالى، وهذا ما فعله حين خصص عشرات الصفحات تحت عنوان " من مواطن الضعف" وقد تحدث فيها عن المعوقات فى مسيرتنا الفكرية آمـــلاً من ذلك أن نغير من حياتنا ما نجده معوقاً لسيرنا الحضارى. لقد بذل فى هذه الصفحات جهداً كبيراً. والقارئ لهذه الصفحات يدرك تمـــام الإدراك أنه أمام أستاذ بكل ما تحمله كلمة الأستاذ من معان ومدلولات. أمام حكيم لا ينطق إلا بعد دراسة وتدبر. لقد عرض علينا مواطن الداء وبـــين لنـــا طرق العلاج. إننا بناة حضارات وثقافات ولم يحدث لنا أن تخلفنـــا عـــن مواقع الريادة إلا فى هذا العصر وحضارته.

ويعطينا الدكتور زكى نجيب أمثلة عديدة وتفصيلات لا حصر لها يكشف من خلالها أوجه تقصيرنا ليس فى المجالات العلمية فقط، بل فـــى المجالات الإنسانية أيضاً. ويقول عن حياتنا الفكرية إنها أضعف الجوانب جميعاً، إن الجانب الفكرى من الفقر بحيث إذا أردت أن تتعقب ما يـــصح

تسميته بالفكر العربى فى عصرنا هذا فربما عدت مـــن رحلتـــك خـــالى الوفاض. إننا لا نجد إلا مجموعة من التعليقات على فكرة سلفية أو تعليق على فكرة غربية. ومن الواضح أن التعليقات الأولى لا تحسب لصاحبها، وهذا هو الحال أيضا بالنسبة إلى النوع الثانى من التعليقات ألم أقل لكـــم أيها القراء الأعزاء، إن أستاذنا زكى نجيب استطاع عن طريق دراســـاته الإبداعية أن يملك القدرة على المقارنة بين أحوال النـــصف الأول مـــن القرن الماضى، وبين ما يسود حياتنا الآن من فوضى فكرية.

بل إن أستاذنا زكى نجيب لا يكتفى بالمقارنة بين حالتين تقعان فى قرنين من الزمان، بل إنه خلال صفحات عديدة يعرض علينا تاريخ الفكر العربى من خلال المقارنة بين معقول ولا معقول، بين حرية الفكر وجمود الفكر، بين النور والتنوير، والظلام والجهل. إنه يضرب أمثلة عديدة فـــى مجالات الأدب والفكر والفن.

إنها أمثلة تكشف – كما قلنا – عن تعمقه وتحليلاته الدقيقة. إنـــه يفعل ليس كالمؤرخ ، بل إنه يفعل ما يفعله فيلسوف التاريخ وفرق كبيـــر بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ.

ويربط أستاذنا دواماً بين الفكر النظرى للمفكر وبين مدى تـأثيره فى المجتمع الذى يعيش فيه. إنه يتحدث عن خصائص الثقافة وخصائص المثقف وكيف أن الثقافة لها بعدها الاجتماعى البارز، أو هكذا ما ينبغـى أن تكون عليه. نجد هذا واضحا فى الفصل الذى عنوانه " فكر على فكر" من كتاب "عربى بين ثقافتين"، بل نجده فى العديد من فـصول الكتـاب الأخرى، وذلك حين يتحدث عن قضايا التراث وعن الأصالة والمعاصرة وعن موقفنا من الغرب وعن الفرق بين الثقافة العربية القديمـة والثقافـة العربية الحديثة، بين ما يقول عنه فكر على فكر، وفكر علـى مـشكلات حية. إن الفكر الأول يعد أقرب إلى شروح على فكر غيرنا، أمـا الفكـر الثانى فهو الفكر الذى ينبض بالحياة، أى فكر على مشكلات حية.

والواقع أن كتاب " عربى بين ثقافتين" يثير العديد مـن القـضايا الحيوية والجوهرية والتى ترتبط ارتباطاً مباشراً بأمتنا العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها. إنه يتحدث عن طبيعة الفكر وعن المفكر الأصـيل وكيف يكون. إنه المفكر الذى يوجه فكره نحو الشئ أى نحو الموضـوع قبل أن يوجهه نحو فكر جاءه من سواه فيصبح فكراً على فكر. يتحـدث

عن النهضة وكيف أنها هى الصحوة التى تؤدى بنا إلى القوة بعد ضعف أصابنا. يميز تمييزاً دقيقاً بين الإبداع الفنى والأدبى والذى يقوم فيه الخيال بدور كبير وهو مضمون ذاتى يختص بصاحبه شاركه فيه الآخرون أم لم يشاركوه ، وبين المعرفة العلمية التى يتعلق مضمونها بالأشياء الخارجية كما هى واقعة تراها أبصار المشاهدين .

وكما يتحدث مفكرنا وهرمنا الفكرى الشامخ زكى نجيب محمــود عن طبيعة الفكر وعن التمييز بين الإبداع الفنى والأدبى، وبين المعرفــة العلمية وطبيعتها ونصيب الأمة العربية من كل نوع من النوعين سواء فى حياتها الماضية البعيدة أم حياتها الماضية القريبة وحاضرها، فإنه يحدثنا حديثاً رائعاً عما نريده من المفكرين أن يؤدوه حتى تنطلق النهضة العربية وثباً وثباً بعد ركود وقعود. إنه يتحدث حديثاً لا يــصدر إلا عــن مفكــر حكيم، مفكر عملاق يضع هموم وطنه فى المكان الأول من اهتماماته. إن على المفكرين – فيما يقول – أن يرسموا الأهداف ليهتدى بها السائرون. إن عليهم رصد مشكلاتنا القائمة على أرضنا بالفعل ليعالجوها بقــدراتهم العقلية ابتغاء الوصول إلى حلول.

ويلخص لنا أستاذنا الرائد فى الصفحات الأخيرة من كتابه القـيم أبرز القضايا والمشكلات التى يجمعها الإجابة عن سؤال هو: كيف يمكن للعربى أن يحيا عربياً معاصراً لزمنه أو قل مشاركاً فى بناء عصره؟ ماذا يصنعه العربى بميراث عزيز عليه إزاء عصر جديد؟.

ويبين لنا مفكرنا أننا إذا استعرضنا حياتنا الثقافية كما هى قائمة ، وجدنا جانب الفكر أضعف جوانبها. إننا فى عالم الأفكار تحت خط الفقر، أى الفقر الفكرى ويحلل مؤلفنا كل نوع من أنواع الإنتاج الأدبى والعلمى والفكرى لمفكرينا العرب قدامى ومحدثين ويضع يديه على مواطن الـداء ويحدد لنا طرق العلاج.

والواقع أن كتاب "عربى بين ثقافتين" يعد معبراً عن شموخ فكرى لرائدنا الكبير زكى نجيب محمود. إننا نجد فيه ثمرة فكر رائدنا وخلاصة تجاربه الفكرية ويعد معبراً عـن اهتمامـه البـالغ بقـضية الأصـالة والمعاصرة. القضية التى أخلص لها منذ أكثر من ثلاثين عاماً. فإذا تحدثنا عن هذه القضية فإنه من الضرورى ومن الواجب أن نضع فى اعتبارنـا أن زكى نجيب محمود يعد على رأس المهتمين بهذه القضية الكبرى فـى

فكرنا العربى المعاصر. إن الحلول التى يضعها لهذه القضية أو المشكلة لا يمكن لفرد أن يتخطاها . لقد وضع مفكرنا عليها بصماته البارزة. ومن يحاول إهمال آرائه أو تجاوزها فإن وقته يعد ضائعاً عبثاً. فلم يكتب زكى نجيب ما كتب إلا لكى نضع كتاباته فى سجل الفخر والخلود. ومن حقنا أن نفخر ونتفاخر بأننا من أبناء الجيل الذى يقف زكى نجيب على قمته دون جدل. ومن واجبنا دراسة آرائه وتقديرها حق قدرها. إنها آراء باقية خالدة وليست آراء زائلة فانية. إنها آراء لا تصدر إلا عن إنسان أوتى حظاً كبيراً جداً من حدة الذكاء وعمق التحليل. إنسان دخل تاريخنا الفلسفى والأدبى والفكرى من أوسع الأبواب وأرحبها. إنسان يمتلك زمام الثقافة العربية والثقافة الغربية . إنه واثق الخطوة فى كل ما يكتب. وواثق الخطوة يمشى ملكاً. إنه هرم ثقافتنا العربية المعاصرة. لقد شق طريقه وسط الصخور والأشواك وبحيث وقف على قمة عصرنا العربى الحديث. فكراً وفلسفة وأدباً. إنه الأستاذ . إنه زكى نجيب محمود.

كتاب: بذور وجذور

سيدرك القارئ فى الحاضر والمستقبل وإلى أن يرث الله تعـالى الأرض ومن عليها، أهمية الكتب التى ألفها الدكتور زكى نجيب محمود، الكتب التى تكشف عن اهتمام رائدنا البالغ بالثقافة العربيـة ومـا أكثـر مشكلاتها وقضاياها. ومن بين كتبه، ، كتابه: بذور وجذور.

لقد اختار زكى نجيب محمود عنوانا دقيقاً لكتابـه ينطبـق تمـام الانطباق على الموضوعات البالغة الأهمية والتى تضمنها هذا الكتـاب . استمع إليه أيها القارئ وهو يقول فى أول سطور كتابه وفى المقدمة التى كتبها (ص٥): أردت فى فصول هذا الكتاب أن أتعمق حياتنا لأصل إلـى جذورها التى منها انبثق جذع تلك الحياة، ثم من الجذع تفرعت الفـروع وأورقت وأثمرت ثمارها، ثم لم أقف عند الجذور، بل مضيت فى الحفـر لأصل إلى البذور الأولى التى فعلت فعلها فى خفاء التربة، حتى أخرجت الجذور.

كما يحدد كاتبنا العملاق حقيقة أفكاره. إنها أفكار عاشها الكاتب وعاناها وكلها يدور حول تحليل حياتنا تحليلاً يردها إلى بذورها وجذورها، لتنشأ فرصة أمام أبصار المبصرين أن ترى أين تكمن القوة وأين يكمن الضعف كما يشير إلى أنواع البذور وذلك باختصار فى مقدمة كتابه (من ص٦ إلى ص١٣) إنها على النوع التالى:

البذرة الأولى هى حقيقة " المصرى" ما هى؟ من أى العناصر تركبت هويته على امتداد التاريخ، وكيف نرى حياته الآن.

ويبين لنا زكى نجيب أن جوهر المصرى هو أن يحيا حياته الدنيا بكل أفراحها وأحزانها، على أن ينظر إليها من خلال منظور دينى يبين له أين الخطأ وأين الصواب. وإذا كانت العقائد الدينية قد تغيرت عليه، إلا أن التدين قد بقى ملازماً له. إن لب التدين هو أن ينظر إلى الحياة الدنيا كمقدمة لحياة الخلود.. إن حضارته إذن حضارة أخلاقية فى أعماقها. ومن هنا تلتقى مصر مع سائر أجزاء الوطن العربى الكبير.

أما عن حياتنا اليوم، فإننا نجد صورة العلاقات قد تغيرت فى صميمها. يقول مفكرنا الشامخ ومن خلال نظرته النقدية الحادة الذكاء: لقد

كاد الأمر يتحول من كون الأمة أمة واحدة، إلى كونها تجمعاً من أفـراد، كل فرد منهم يسعى إلى الحصول على أكبر نصيب ممكن من الغنائم بأقل قدر ممكن من العمل، ومن هنا كان السابقون فى هذا المضمار هم أبـرع الناس حيلة ودهاء، وليس أرفعهم ذكاء وعلماً وعطاء، وما يقال عن أفراد الشعب الواحد من شعوب الوطن العربى، يقال عـن الـشعوب العربيـة بعضها إزاء بعض، فلم تعد الأمة العربية أمة بينها أواصر الأمة الواحدة، بقدر ما أصبحت عدداً من الشعوب يمكر شعب منها بشعب ليظفر دونـه بالغنيمة، ولولا بقية جوهرية بقيت ، هى أن هذا التفكك أكثر ظهوراً على صعيد السياسة منها على صعيد الثقافة ، لقلنا إن الرحمن قد أوشـك بنـا على الفناء.

هذه الكلمة الرائعة من الدكتور زكى نجيب محمود، تـدلنا علـى اهتمامه الكبير بالجانب السياسى إنه يحدد الداء ويصف الدواء، فهل يعلم ذلك أشباه الدارسين ذوى النظرة السطحية ومن يتصفون بالتخلف العقلـى والذين قالوا إن زكى نجيب محمود، لم يهتم بالجانب السياسى فى فكـره.

إنهم يظنون إن الفكر السياسى ما هو إلا مجموعة من الخطب الرنانة والكلمات المتقاطعة، تماماً كالكلام الأجوف الذى يصدر عنهم.

البذرة الثانية: لماذا فقد الفرد الواحد من المواطنين فى الشعب الواحد، إحساسه بالآخرين؟ ما الذى غرس فى صدورنا ذلك الضلال الذى شوه الرؤية عند كل فرد حتى غلبت عليه الأنانية . لقد تم افتقاد الفكرة الموحدة بيننا عن حقيقة الإنسان ما هى؟.

إن الإنسان يعد كائناً اجتماعياً بطبعه ولا يتحقق له وجود إلا إذا نظر إلى نفسه من حيث هو عضو فى جسم كبير دون أن تقلل هذه العضوية من حقيقته كفرد مسئول. مثال ذلك الكائن الحى: فالقلب يؤدى وظيفته الكاملة، ولكن هذه الوظيفة لا تكون لها فائدة إلا إذا قام بمد سائر الأعضاء بزاد من الدم لكى تحيا. وهذا يقال عن سائر أعضاء جسم الإنسان كالرئتين والكبد والمعدة...الخ. لقد انتشرت بيننا الأنانية حتى ظن الفرد الواحد أنه يستطيع أن يسقط من حسابه سائر الأفراد، وظن الشعب الواحد من الشعوب العربية أنه يستطيع أن يسقط من حسابه سائر الشعوب.

وهذه البذرة الثانية والتى يكشف عنها زكى نجيب محمود،، تعـد شيئاً رئيسياً إذ نلاحظ فعلاً كيف انتشرت الأنانية بين أفراد الأمة الواحدة من جهة، وبين كل شعب والشعب الآخر من جهة أخرى. إن أكثر الدول العربية تتقاتل الآن فيما بينها ، ومن النادر أن نجد أمة عربية فى منطقة ما من مناطق المعمورة، إلا وتشن الحرب أو العداء على أمـة أخـرى عربية، وهذا كله يعد معبراً عن الأنانية بين الدول العربية، تماماً كتعبيره عن الأنانية بين أفراد الأمة الواحدة، أو الشعب الواحد، أو الدولة الواحدة.

وكم أكد فلاسفة العالم شرقه وغربه على أهمية أن يكون الإنسان كائناً اجتماعياً. نجد هذا عند أرسطو فى بلاد اليونان حين ذهب إلـى أن الإنسان يعد مدنياً بطبعه ، أى كائناً اجتماعياً. والإنسان الأنانى إذن يعـد فرداً شاذاً ، فرداً يعد معبراً عن اللامعقول، إذ لا حياة له إلا بأن يتعـاون مع المجموع، وحتى ينتقل من صفته الفردية إلى صفته الجماعية، حتـى ينتقل من مفهوم الفرد إلى مفهوم الإنسان، حتى يتخطـى الجزئـى إلـى الكلى، وبحيث يصعد إلى أن يكون معبراً عن الإنسان كما ينبغى أن يكون الإنسان. ومن يتمسك بأنانيته، فإنه سيكون كالفرد الذى يعمل على موجة،

والآخرين على موجة أخرى. أما من يتخطى الأنانية إلى الغيرية ، إلــى الإنسانية فإنه يكون بذلك معبراً عن التناغم والاتساق والانسجام.

أما البذرة الثالثة فيرى زكى نجيــب محمــود، مفكرنـــا الرائـــد العملاق، بأنها تعد خاصة بالثقافة والمثقفين فى حياتنا القائمة. ويعــرض علينا زكى نجيب مجموعة من المعانى تدور حول تعريف المثقف . فمن قائل يقول ، إنه ذلك الإنسان الذى يتميز بحب الكشف عن سر الحياة فى شتى صدرها وفى صورتها الإنسانية بصفة خاصة. إنه لا يكتفى بالوقوف عند أسطح الكائنات وخواطرها، بل يريد أن ينفذ إلى الباطن والجــوهر . نجد هذا عند الشاعر والروائى والمسرحى والفنان التشكيلى والموســيقى. بل نجد هذا عند المتلقى ، فهو وإن لم يكن قد أبدعها بالدرجة الأولى، فإنه يحاول أن يعيد إبداعها فى نفسه حيث يتلقاها بالدرجــة الثانيـــة. (ص٩-١٠).

ومن الناس من يريد بالثقافة، التنوير، ويراد بـــالتنوير أن تـــزداد معارف الناس عن دنياهم بصفة عامة، وأن ترسخ عندهم النظرة العقليـــة لأمور حياتهم بصفة خاصة. (ص١٠).

أما البذرة الرابعة التى يكشف عنها مفكرنا زكى نجيب محمـــود، فإنها تعد خاصة بالتراث وما نثيره حوله من ضـــجة تـــصم الأذان فـــلا تصغى ولا تسمع. إن مشكلات أسلافنا وإن اختلفت عن مشكلاتنا اليـــوم من حيث الموضوع، فهنالك جانب مشترك يربطنا بهم. يقول زكى نجيب محمود: لقد طبق كاتب هذه السطور التجربة على نفسه، وعـــاد ليعـــيش لحظة مع أصحاب الفكر الفلسفى فى مشكلة عرضوها واختلفوا فى أمرها، فوجد نفسه منسجماً معهم فى جوهر الموقف، لأن المشكلة كانت عنـــدهم هى هذه : أيأخذون عن فلاسفة اليونان منطقهم، أم أن الأمر فى المنطـــق مرتبط باللغة، وبالتالى لا يكون المنطق اليونانى صالحاً للغة العربية؟ فلم يجد هذا الكاتب عندئذ فرقاً جوهرياً بين سؤالهم وسؤالنا، فمازال الـــسؤال وارداً يحتمل اختلاف الرأى، إذ نسأل اليوم: أنأخذ عن فلاسفة الغرب ؟ أم أن هؤلاء الفلاسفة يفلسفون حياة ليست هى حياتنا؟ (ص١١).

ويشير زكى نجيب فى دراسته لهذه البذرة الرابعة إلـــى مـــشكلة الأصالة والمعاصرة، المشكلة التى أخلص لدراستها والبحث فيهـــا مـــا يقرب من نصف قرن من الزمان وبدرجة لا نجدها عند أى مفكـــر فـــى

عالمنا العربى المعاصر. لقد ارتبط اسم زكى نجيب محمود بتلك المشكلة، مشكلة الأصالة والمعاصرة، بل ارتبطت المشكلة، باسمه وبقلمــه ومــن يحاول أن ينكر ذلك، فوقته ضائع عبثاً. إن مؤلفاته فى هذا المجال، مجال الأصالة والمعاصرة لا يستغنى عنها أى مهتم بدراسة هذه المشكلة مــن قريب أو بعيد . وأكثر المحاولات التى نجدها عند أناس يزعمــون أنهــم يحللون جوانب تلك المشكلة، إنما تعد محاولات سطحية زائفة ، ولم لا؟ وهم من أشباه الدارسين أو أشباه المثقفين، والثقافة منهم براء، تحسبهم من المفكرين، وما هم المفكرين، ولكنها الشهرة العمياء، والطبل الأجوف، بل إنهم صعدوا فوق أكتاف زكى نجيب محمود، ولكنهم أساءوا إليه بعد ذلك، ولم يفهموا أفكاره الحقيقية. لقد تقدم زكى نجيب محمود فى دراسته لهــذه المشكلة الكبرى ، مشكلة الأصالة والمعاصرة، بخطــوات رائعــة ثابتــة وواثقة، استمع أيها القارئ العزيز إلى زكى نجيب محمود، وهو يقــول: إن الدرس المهم الذى خرج به هذا الكاتب من تلك التجربة، هو أننا لــو عقلنا ألفينا أن أسلافنا وهم يعالجون تلك المشكلة، والتــى هــى نفــسها المشكلة التى نتحدث عنها اليوم على أنها مشكلة التراث، والحفاظ عليــه،

نراهم يحصرون المشكلة فيما يمس جوانب ثقافية قائمة بالفعل عندهم، ولم يجاوزوا ذلك ليجعلوها مشكلة تشمل كذلك الجوانب التى لـم يكـن فـى حياتهم مثيل لها،.... ولك أن تراجع كتاب الأخلاق لمسكويه فتراه يأخـذ عن التصور اليونانى لعلم الأخلاق أصولاً كثيرة، فلم يقلقه هذا الأخذ ولا أقلق سواه مع أن الموضوع خاص بالأخلاق وتنظيرها، مما كان يمكـن للمعترض على متابعة اليونان فيه أن يجد الكثير الذى يعتـرض بـه، إذ الأخلاق تمس صورة الحياة الإنسانية فى الصميم، فإذا كان هذا هو موقف القدماء فى مشكلة التراث أيامهم أليس الأجدر به أن يكون هو موقفنا اليوم إزاء المشكلة ذاتها؟ (ص١١-١٢).

وتثير هذه العبارة مجموعة من الأسئلة التى تتعلق بالعديـد مـن القضايا البالغة الأهمية والتى تدور حول ما الذى نأخذه من التراث، ومـا الذى نرفضه، وما هو معيار القبول ومعيار الرفض، وما حقيقة ما يثيره ضعاف العقول فى هذه الأيام حول الغزو الفكـرى، وأن الظـلام مـن الغرب، إلى آخر تلك القضايا والمشكلات المهمة، والتى لا نجد مفكرنـا زكى نجيب محمود حريصاً على دراستها والإشارة إليها فى هذا الكتاب،

كتاب بذور وجذور فحسب، بل نراه حريصاً على دراستها وتحليلها وسبر أغوارها فى عشرات الكتب الخالدة التى قدمها لمكتبتنا العربية ومن بينها الشرق الفنان، وتجديد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وثقافتنا فى مواجهة العصر، وذلك على النحو الذى أشرنا إليه منذ قليل.

وينتقل بنا مفكرنا الشامخ إلى الحديث عن البذرة الخامسة من بذور الشجرة الثقافية كما هى قائمة بيننا وهى التى تتعلق باللغة ويذكر لنا مفكرنا عدة جوانب تتعلق باللغة ويبين لنا أن هنالك ضربين من استعمال اللغة، فهى إما تشير إلى واقعة من وقائع العالم من حولنا، وعندئذ يستطيع المتلقى أن يراجع صدقها على الواقعة المشار إليها، وإما تشير إلى حالة خاصة عند المتكلم، كأن يقول إنه يشعر بالظمأ ، وعندئذ ليس فى وسع أحد أن يراجع قوله تصديقاً وتكذيباً. وهذا الجانب الشعورى ينقسم بدوره إلى قسمين، أولهما أن يجيئ الكلام من النوع الذى يتبادل الناس به أحاديثهم بغير قيد ولا شرط والثانى هو أن يصب الكلام فى صورة تجعله أدباً، فيكون قصيدة من الشعر، أو رواية أو مسرحية وعندئذ تكون له

ضوابط يمكن على أساسها أن يناقش مـن الآخـرين قبـولاً ورفـضاً. (ص١٢-١٣).

ويبين لنا زكى نجيب محمود، أننا نقع فى الكثير مـن الأخطـاء والخلط بغير حدود وذلك حين لا نتبين الفرق بين المجالين. يقول زكـى نجيب محمود موضحاً ذلك: ووجه الخلط الذى نغرق فيه حتـى أذقاننـا ونتعرض - بالتالى- لما ليس له حدود من التخبط الفكـرى ، هـو أن المتكلم أو الكاتب قد يقول عما يشعر به هو شعوراً خاصـاً، ثـم يلـزم الآخرين بأن يتقبلوا قوله دون أن يكون لهم حق المعارضة بأن ما قالـه بضاعة خاصة به، هو حر فى قبولها، والآخرون بدورهم أحـرار فيمـا يشعرون به أو لا يشعرون... إن اللغة التى مـن شـأنها - إذا أحـسن استخدامها - أن تنير الطريق إلى معرفة صحيحة بالعالم، قد أصبحت فى حالات كثيرة وسيلة إظلام يلفنا بضبابه ونحن على وهم بأننا فى مـسقط النور (ص١٢-١٣).

إن هذا القول من جانب زكى نجيب محمود يعد دستوراً لنا فـى حياتنا الفكرية وذلك إذا درسناه وفهمناه حق الفهـم. والواقـع أن رائـدنا

الكبير قد أخلص إخلاصاً لا حد له بدراسة اللغة وفلسفتها، بدراسة العلـــم وفلسفته. وهذه الدراسة المتأنية من جانبه ترتبط ارتباطاً رئيسياً بمحاولته الكبرى فى مجال تجديد الفكر العربى. لقد أعانـــه التعمـــق فـــى اللغـــة وفلسفتها، على التمييز بين المعقول واللامعقول، التمييز بين الـــصواب والخطأ. فهل يعلم ذلك من يقولون بأن محاولة زكى نجيب محمـــود فـــى مجال تجديد الفكر العربى تتعارض مع دراساته العلمية والمنطقية. لقـــد وجد من أشباه المثقفين من يقول بذلك . وكنت حين اطلع علـــى أقـــوالهم أقول فلتذهب هذه الأقوال الساذجة إلى الجحيم وبئس المصير لأنها تعـــد جهلاً على جهل ومكانها الحقيقى هو سلة المهملات.

هذه هى البذور الخمسة التى يتحدث عنها رائدنا العملاق زكـــى نجيب محمود حديثاً آية فى الدقة والعمق. بل إنه يلخصها فى آخر إشارته إليها وذلك حين يقول: لقد جعلنا البذرة الأولى هوية تحطمت عناصـــرها حتى لقد فقد الفرد انتماءه، وجعلنا البذرة الثانية فهماً مخطئـــاً للإنـــسان، بحيث أخرجناه من مدار العقل لنضعه على أفلاك اللامعقول، وانقطعـــت وسائل التفاهم بين الناس، وكانت البذرة الثالثة ثقافة بـــلا غايـــة يتغياهـــا

المبدعون كل بوسيطه الخاص بميدانه، فانعكس هذا التيه على المستقبلين، وكانت البذرة الرابعة عن التراث، فقد جعلناه هماً لنا بالليل ومشغلة لنـــا بالنهار، لأننا أخطأنا تحديد البؤرة التى يجب أن يتجه إليها البصر، وأمـــا البذرة الخامسة فهى طريقة استخدامنا للغة فى حياتنا الفكرية ، إذ تحولت على أيدينا أداة لا تؤدى ، وكان الأساس فيها أن تكون أداة توصيل مـــن متكلم إلى سامع، أو من كاتب إلى قارئ. (ص١٣-١٤).

ويحدثنا زكى نجيب محمود عن الجذور، كما تحدث عن البـــذور لقد تفرعت مجموعة من الجذور عن تلك البذور.

ومن بين تلك الجذور، أن العملية الفكرية فـــى أى ميـــدان مـــن ميادينها لم تجد الغذاء الصحى الذى يغذيها فتنمـــو وتنـــتج، وإذا كانـــت مقومات الحياة الثقافية أربعة أساسية: دين وفكر وأدب وفن، فإن الفكر فى حياتنا هو أضعف الأربعة بلا نزاع (ص١٤).

وإذا كان الجذر الأول يتعلق بالمنهج بوجه عام، فإن الجذر الثانى من جذور الضعف فى حياتنا هو ما يتعلق بالتعليم.

ويواصل مفكرنا الشامخ زكى نجيب محمود حديثه عن الجـذور من خلال نظرة نقدية واعية شاملة قل أن نجد لها نظيراً بـين مفكرينـا العرب المعاصرين، ومن هم من أهـل التنـوير ابتـداء مـن رفاعـة الطهطاوى. إننا نجد مفكرنا يتحدث عن حقوق المواطن وغيرهـا مـن حقوق خاصة بالفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى. لقد وضع زكـى نجيب يده على موضع الداء وقدم لنا الدواء، وليتنا نستمع إلى كلماتـه الدقيقة الرائعة التى تكشف لنا عن عقلية شامخة، عقلية رائدة. إنه يتحدث كالحكيم العميق الحكمة. الحكيم الذى يملأ بقاع الأرض علماً. إنه يعلن فى صراحة ووضوح وأثناء دراسته لآخر الجذور التى حدد عددها بخمـسة، أنه لا طريق لنا إلا بالتمسك بالتنوير. استمع إليه وهو يقول فـى آخـر سطور مقدمته لكتابه الخالد، "بذور وجذور": لما كان التغير الدائب مؤدياً بالضرورة إلى التفكير فى "المصير"، كان مما يلفت النظر ما نلحظه مـن ميل سائد فى مجتمعنا نحو العودة إلى الماضى نحتكم إليـه فـى أمـور حاضرنا فيضيع منار المصير، كمن يلوى عنقه لينظر وراءه، فلا يـرى فجوة شقت الأرض أمامه إلا بعد أن يقع فيها. ولا أمل لنا فـى القـضاء

على هذه النظرة الوراثية إلا بحركة قوية نحو التنوير، وما التنوير سوى السير نحو النور، والطريق إلى التنوير هو تربية وتثقيف وإعلام تتـآزر كلها على الإعلاء من شأن العقل كلما أردنا أن نرسم لأنفسنا سبيلاً يحقق لنا هدفاً. (ص٢١).

والحديث عن البذور والجذور بالصورة التى أشرنا إليها نجده شائعاً فى دراسة رائدنا زكى نجيب محمود، لكل الموضوعات التى اختارها والتى يضمها كتابه بذور وجذور، ذلك الكتاب الذى زادت صفحاته عن أربعمائة صفحة. لقد كانت موضوعات كتابه على النحو التالى:

- نافخ النار
- تلك المعزوفة الكبرى
- كان حلماً ومازال حلماً
- موطن الداء
- تلك أم المشكلات
- حاطب الليل

- الشجرة المباركة
- عن العقل ونضجه

ونلاحظ أن النظرة التجديدية العقلية العلمية تسود دراسة زكى نجيب محمود لكل الموضوعات التى اختارها مجالاً لدراسته تحت هذه العناوين التى ذكرها الآن.

نعم إن النزعة التنويرية هى النزعة التى يتمسك بها زكى نجيب محمود طوال حياته. وعلى سبيل المثال نجده فى مقالته عن الشجرة المباركة يبين لنا الصلة بين العلم والنور فهو يقول: الصلة بين " العلم" والنور" شيئ معروف مألوف حتى لنسمع عبارة "العلم نور" شائعة على الألسنة بين عامة الناس فضلاً عن خاصتهم وإنه لقول صادق إلى آخر حدود الصدق برغم ما فيه من مجاز. فالنور يقشع الظلام عن الأشياء فتراها الأبصار بعد أن لم تكن رأتها وهى ملتفة بظلامها، وكذلك يفعل "العلم" بشيئ ما لأنه يتيح لصاحبه أن يرى من تفصيلات ذلك الشيئ ومن حقائق طبيعته ما يتيح له أن يستخدمه وهو آمن، فلا فرق إذن بين "نور"

يبين معالم الطريق، "وعلم" يبين معالم الأشياء فنطوعهـا كيـف شـئنا. (ص٣٨٣).

ومن هذا المنطلق يحلل رائدنا زكى نجيب الآية القرآنيـة: " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مـصباح المـصباح فـى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركـة زيتونـة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور علـى نـور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيئ عليم".

لقد حلل زكى نجيب محمود هذه الآية تحليلاً غايـة فـى الدقـة والروعة (من ص٣٨٣ إلى ص٣٩٤) وكان ذلك بعد قراءته لكتاب مشكاة الأنوار للغزالى منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً. ويربط بين أول الآية (الله نور السموات والأرض) وآخر الآية (والله بكل شيئ عليم)، كما يربط بين حركة التنوير عند العرب، وحركة التنوير فى التاريخ الأوربى الحـديث. إن هذا الربط لا يستطيع أن يقوم به إلا كاتب جبار مثـل زكـى نجيـب محمود. كاتب ملأ بقاع الأرض علماً ومعرفة. إنه يـربط بـين التنـوير والعلم، يربط بين التنوير والعقل. فهو يقول: فلما جـاء القـرن العاشـر

وامتداده فى الحادى عشر، بلغ التنوير ذروته ، فكانت رسائل إخوان الصفا بمثابة دائرة المعارف التى هى عادة رمز يشير إلى التنوير من ناحية جمع المعلومات وكانت الفلسفة قد بلغت ذروتها عند الفارابى وابن سينا مما يشير إلى سلطان العقل (ص٣٩٣).

والواقع أنه ليس بالإمكان الإشارة ولو مجرد إشارة إلى الدروس الرائعة التى يمكن أن يستفيدها القارئ والدارس من خلال تحليله لهذا الكتاب، إن النزعة التنويرية وإقامتها على أساس العقل والعلم، والربط بين التنوير عند أجدادنا القدامى من أمثال إخوان الصفا والفارابى وابن سينا، والتنوير فى الفكر الأوربى عند أمثال فولتير وكانت الفيلسوف الألمانى، لا نجده فى مقالته عن الشجرة المباركة فحسب، بل نجده فى العديد من مقالاته ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر، طريق القدماء طريقنا، ولكن، ومقالته عن العقل ونضجه ... الخ.

وإذا كنا قد أشرنا إلى البذور والجذور التى كشف عنها زكى نجيب محمود، فى الصفحات الأولى من كتابه ، فإننا نجد تطبيقات عديدة لإشاراته الذكية الرائعة والعميقة فى العديد من صفحات كتابه، ومن بينها

مقالة بعنوان من ذا يزيح هذا الضباب (من ص١٤١ إلى ص١٥٥)، ومقالة بعنوان " وقفه علمية هادئة" (من ص١٥٧ إلى ص١٧٢)، ومقالة بعنوان "نافخ النار" (من ص٢٣إلى ص٣٦).

ولا يخفى هرمنا الفكرى الشامخ زكى نجيب محمود قلقه على ما صارت إليه أحوالنا الثقافية إنه يقول فى مقالته عن "حقائق الأشياء وظلالها": والذى أزعمه عن حياتنا الثقافية اليوم، هو أن هذا الجانب الفكرى منها الذى لا هو إبداع أدبى أو فنى، ولا هو من زمرة العلوم، قد ضعفت فى نفوسنا نبرته وفترت فى سلوكنا دفعته المحركة الموجهة، وربما نتج ذلك بسبب ضحالة من ننعتهم بالمفكرين ضحالة نشأت عن أكثر من سبب واحد، فهنالك الظروف الاجتماعية والسياسية التى مالت بالناس نحو رفض عصرهم ، هروباً إلى الماضى ليختاروا منه ركناً آمناً هادئاً لا يتعرضون فيه لعواصف الأقوياء الذين هم أعداؤهم ومستعمروهم، والقابضون على رقابهم بقوة العلم، أولاً، وقوة المال التى ترتبت على نتائج العلم ثانياً، وقوة السلاح التى نتجت عنهما معاً (ص١٢١-١٢٢).

وهكذا ينتقل زكى نجيب محمود من سبب إلى آخر، من المقدمات إلى النتائج، وبكل صدق وموضوعية. وكم أشار إلى العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التى تهم أبناء أمتنا العربية من الخليج إلى المحيط، وقدم لنا آراء غاية فى الجرأة والدقة ليتنا نستفيد منها ونضعها موضع اعتبارنا وذلك إذا أردنا لأمتنا سبيل التقدم والرقى.

إن إحاطة رائدنا ومعلمنا الكبير زكى نجيب محمود بكل موضوع تصدى لدراسته بين صفحات كتابه "بذور وجذور" تعد إحاطة شاملة وغاية فى الدقة وتكشف عن اطلاع غزير على الثقافتين العربية والغربية. تدلنا على إحاطته الشاملة بالثقافة العربية فى قديمها وجديدها.

إن الدكتور زكى نجيب محمود من خلال صفحات هذا الكتاب، وبقية كتبه الأخرى، يعبر عن شموخ فكرى صادر عن إيمان بالعقل، إيمان بالتنوير، إيمان بالعلم. وستظل كتاباته أبد الدهر، لأنها تعد معبرة عن سمو فكرى جعله يقف على قمة عصرنا .

حصاد السنين

إذا كان زكى نجيب محمود قد قدم لنا كتابين بهما سيرته الذاتية وهما كتابه "قصة نفس" " وقصة عقل"، فإننا نجده قد قدم لنا كتابه الثالث فى مجال السيرة الذاتية وهو كتابه "حصاد السنين" والذى يعد – كما أشرنا – آخر كتاب من كتبه.

إن هذا الكتاب لا يمكن أن يستغنى عنه أى مهتم بفكرنا العربى الحديث والمعاصر من قريب أو من بعيد، وخاصة فى مجال السيرة الذاتية لمفكرنا زكى نجيب محمود، وأيضاً فى مجال الاهتمام بالقضية الكبرى عنده، قضية الأصالة والمعاصرة، القضية المحورية، قضية أن أكون أو لا أكون.

نقول هذا ولابد من القول به، لأننا نجد العديد من السير الكاذبة التى يكتبها أناس تحسبهم من المفكرين، وهم من أنصاف المفكرين أو من أشباه المفكرين هؤلاء الذين أفسدوا أرض الثقافة، والثقافة منهم براء، منهم من رحل عن دنيانا، ومنهم من لا يزال يفسد فى الأرض وبحيث تحولت

حياتنا إلى سواد وأصبحت خراباً بلقعاً، وإن كان أكثرهم لا يعلمون، وذلك لأن سيرهم الكاذبة تعد جهلاً على جهل وتنتشر فى بحور الظلمات.

ونود أن نشير إلى أن هذا الكتاب لا يمكن فهمه إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا أنه من الضرورى دراسة كل أفكار زكى نجيب المحورية فى سائر كتبه ، وخاصة أن كتابه حصاد السنين يعد كما قلنا آخر كتبه.

ومن أهم هذه الأفكار التى لابد أن ندرسها قبل دراسة هذا الكتاب، أن زكى نجيب ينادى باستمرار بضرورة الربط بين الفكر من جهة، وحياة الناس من جهة أخرى، أو واقع الحياة والمجتمع.

إن حاله – كما يقول – لم يكن كحال الرجل الذى يلهو بالكلمات المتقاطعة فى محاولة من جانبه لقتل فراغه.

بل من الضرورى الاعتقاد بأن الفكر مرتبط بالمشكلات التى يحياها الناس حياة يكتنفها العناء، فيريدون لها حلاً حتى تصفو لهم المشارب، وبمقدار نجد الفكرة على صلة عضوية وثيقة بإحدى تلك المشكلات نقول إنها فكرة بمعنى الكلمة الصحيحة.

وهذا القول من الدكتور زكى نجيب محمود إنما يدلنا على إيمانه بأهمية الربط بين الفكر والفلسفة من جهة، والمجتمع من جهة أخرى، بمعنى أن تتحدد قيمة الفكرة على أساس مساهمتها فى حل المشكلات الفكرية والاجتماعية فى وطننا العربى، وما أكثر تلك المشكلات، الواقع أننى أجد نفسى – كما قلت فى البداية –عاجزاً تماماً عن تحليل تلك الأبعاد الفكرية عند مفكرنا زكى نجيب محمود لأن أفكاره – كما قلت – بالغة العمق والدقة والثراء، وتحتاج إلى مجموعة من الكتب والدراسات والبحوث حتى يستطيع الفرد منا أن يستوعبها على الوجه الصحيح والدقيق.

إن أبرز ما يتميز به زكى نجيب محمود إنما هو حسه النقدى والذى ظهر بأجلى صوره فى موقفه من الفكر العربى وكيف نجد مواكبة بين هذا الفكر وبين تيار العصر والحضارة.

إنه يقول فى كتابه قصة عقل (ص٢١٧): لقد قرأت ما قرأته (التراث العربى) ليكون حكمى عليه قائماً على معايير عصرنا نحن ، من حيث انتفاع الناس به وعدم انتفاعهم. إننى قرأت ما قرأته من التراث

العربى قراءة مثقف يعيش فى القرن العشرين، ويتنفس فى مناخ حضارى له خصائصه ومقوماته، ويريد أن يرى الحبل موصولاً بينه وبين أسلافه. ولكنه فى الوقت نفسه يشعر بأنه ما كل ما عاشه أولئك الأسلاف صالح له هو ولزمانه، ولكنه لابد بحكم طبائع الأمور ذاتها، أن يكون فى حياة الأسلاف كذلك ما يجوز- بل ما يجب- أن يبقى ليبقى الرباط.

إن المعيار الذى أساسه نقبل موقفاً من التراث ونرفض موقفاً آخر، إنما يتمثل فى العقل وأحكامه، كما يتمثل فى مدى ملاءمته لروح العصر وحضارته.

لقد أخلص مفكرنا العملاق للبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة إخلاصاً لا حد له. إنه يقول إن قضية الجمع بين أصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ربما كانت أهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير والكتابة. لقد أصبحت على يقين من أن هذه المسألة هى أم المسائل الثقافية جميعاً. إنها القضية التى يصح أن نقول حيالها قول هاملت فى أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال. (قصة عقل، ص٢٢٢).

أما عن معاركه الفكرية، فما أكثرها . لقد أدت أفكاره كمـــا هـــو الحال عند المجددين فى كل عصر إلى كثير مـــن المناقـــشات والجـــدال حولها. لقد بعثت الحياة الفكرية فى عالمنا العربى المعاصر من مـــشرقه إلى مغربه.

هذا هو زكى نجيب محمود عميد الاتجاه العقلى والذى دعا إلـــى تمجيد العقل باعتباره الدليل والحكم.

إننى إذا كنت أختلف معه حول فكرة أو أكثر من الأفكار التى قال بها، فإن هذا يدلنا على عظمة فكره وثراء اتجاهه العقلى التنويرى.

نعم إن كتاب حصاد السنين يعد فخراً لنا جميعاً كعرب. إنه يعـــد معبراً عن فكر ثاقب، ونظرة فلسفية متميزة، بذل فيه صـــاحبه جهـــداً ، وجهداً منقطع النظير. يدرك ذلك المحلل لهذا الكتاب ومنذ أول صفحة من صفحاته حتى آخر سطور الكتاب، وبحيث نقول بلا تردد، بأننا لا نتصور أى مهتم بقضايا الفكر والثقافة، إلا إذا وقف عند كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الخالد على مر الزمان. لقد أضاف به الدكتور زكـــى نجيـــب محمود إلى أمجاده الفكرية، أمجاداً أخرى ما أعظمها وما أروعها، وبحيث

نقول إن زكى نجيب محمود يعد هرمنا الفكرى، يعد أستاذاً لجيل وأجيال من الباحثين والدارسين، وإن كان أكثرهم لا يعلمون .

يقع الكتاب فى ٤٢٥ صفحة ويتضمن مقدمة ومجموعة من الفصول من بينها:

- تغريدة البجع
- منهج جديد
- سنوات التحول
- رؤية واضحة.
- نار ونور.
- فرار إلى مدينة الأحلام.
- الصورة من بعيد.
- مطالع النور.
- المطبوعة الزرقاء.
- فى سبيل الوضوح.
- رؤية موحدة.

- إرادة التغيير.
- خيوط تلاقت.
- نهاية الطريق.

ويعد هذا الكتاب كما أشرنا، آخر كتاب قام بتأليفه زكـــى نجيـــب محمود، لقد قام بتأليف هذا الكتاب بعد صدور كتب له، ومن بينها علـــى سبيل المثال، شروق من الغرب، وتجديد الفكر العربـــى، وموقـــف مـــن الميتافيزيقا، قصة نفس، وقصة عقل، وهموم المثقفـــين، وعربـــى بـــين ثقافتين، والمعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى، وهذا العصر وثقافتـــه، والشرق الفنان. وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

إن الكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه، كتاب حصاد السنين، لا يمكن فهمه حق الفهم، إلا إذا قرأنا كل التراث الذى تركـــه لنـــا مفكرنـــا العملاق، زكى نجيب محمود، لا يمكن إدراك ما فيه مـــن أفكـــار إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا الدور الحيوى والرائد الذى قام بـــه زكـــى نجيـــب محمود، والذى يقف على قمة عصر التنوير فى مصر وعالمنا العربى.

يقول زكى نجيب محمود فى السطور الأولى من مقدمـــة كتابـــه (ص٥): أحس الكاتب أنه وقد بلغ الخامسة والثمانين من عمره وانتابتــه عوامل الضعف والمرض أنه قد اقتربت سيرته الثقافية من ختامها ممـــا أوحى له بأن يكتب هذا الكتاب ليقدم به إلى قارئه صورة للحياة الثقافيـــة كما عاشها أخذاً وعطاء وهى حياة طال أمدها حتى بلغ- عند كتابته هذه السطور – ما يزيد قليلاً عن ستين عاماً. بدأت قبل سنة ١٩٣٠م. وطالت حتى أوشك الزمن على الدخول فى سنة ١٩٩١م. ولقد حرص الكاتب أشد الحرص على أن يصور حياته العلمية والأدبية خلال هذه الفكرة الطويلة، فى نزاهة يتجرد بها عن الهوى ما كان ذلك فى مستطاع البشر.

هذه العبارة تكشف عن الدور الحيوى والرائد الذى قام به عملاق الفكر وهرم الثقافة العربية فى عصرنا الحديث. وإذا كنا نتحدث فى هـــذه الأيام عن التنوير وقضاياه، فإننى أعتقد راسخاً بأن كل سطر كتبه زكـــى نجيب محمود وفى أى كتاب من كتبه، إنما يعد من جانبه إسهاماً قوياً فى رحلة التنوير، والبعد عن الظلام واللامعقول.

لقد دافع زكى نجيب محمود عن حياة النور. أخلص إخلاصاً بغير حدود لقضيته الكبرى، قضية الأصالة والمعاصرة. حدد لنا أبعاد الصيغة الثقافية التى تلزمنا كعرب فى عصرنا الحديث. إنه يقول فى مقدمة كتابه (ص١٨): ومنذ عامه السبعين، أخذ الكاتب يصدر كتاباً إثر كتاب، ومقالاً بعد مقال ليشرح ما يراه من الصيغة الثقافية المطلوبة، التى نضفر فيهـــا خيطين معاً: أولهما الجانب الذى استبقناه من ثقافة أصيلة زرعــت فـــى أرضنا العربية وأثمرت، وثانيهما جانب متصل بـــالعلوم فـــى صـــورتها الجديدة، والمنهج التقنى المميز لهذا العصر وغير ذلك مما هـــو حيـــوى لإقامة الحضارة على الصورة التى منها يتألف عصرنا فى المقام الأول. فهذا كله يجب استزراعه فى أرضنا من شتلات نستوردها مـــن مراكـــز الحضارة الجديدة فى الغرب. ومن الجانبين: ما هو أصيل أنتجناه نحـــن على امتداد تاريخنا وما هو مجلوب من بناة الحضارة الجديـــدة، تتـــألف الصيغة الثقافية الجديدة للوطن العربى.

هذه العبارة الخالدة التى يقول فيها مفكرنا زكى نجيب محمـــود، تضع أمامنا رؤية واضحة محددة، وتنير لنا الطريق.

إن القارئ لكتب زكى نجيب محمود، ومن بينها كتابه الأخير، حصاد السنين، يستطيع القول بكل يقين إن الرؤية عند مفكرنا تعد واضحة. لقد حدد لنا الطريق. كشف عن الأدوات التى يجب أن نلجأ إليها إذا أردنا لأنفسنا طريق التقدم والبعث الجديد، ولكن ماذا نفعل ونحن نرى مجموعة من المتخلفين عقلياً، والذين يزعمون لأنفسهم أنهم أساتذة وما هم بأساتذة، يقومون بالهجوم على أفكار رائدنا زكى نجيب، وذلك عن طريق اللجوء من جانبهم إلى استخدام عبارات هلامية عرجاء تذكرنا بالكائنات المشوهة الخلقة. ويزعمون عن طريقها أنهم أصحاب مشروعات فكرية، وهى مشروعات زائفة تحسبها داخلة فى إطار الفكر، والفكر منها براء.

وفى نغمة لا تخلو من الحزن والأسى، يكتب رائدنا مقالته الأولى فى الكتاب، كتاب حصاد السنين تحت عنوان تغريدة البجع: يقال عن البجعة إنها إذا ما دنت من ختام حياتها سمعت لها أنات منغومة تطرب آذان البشر، ولا يمنع طربها أن تكون تلك الأنات صادرة- على الأرجح- من ألم يكويها، ومن هذه التغريدة الجميلة قبيل موتها جاء التشبيه عند أدباء الغرب الذى يصفون به عملاً جيداً أنجزه صاحبه ليختم به حياته، إذ

يقولون عنه إنه تغريدة البجعة، وقد أراد هذا الكاتب أن يقولها عن نفسه، لأنه لا يتوقع أن يقولها عنه سواه (ص٢٠).

ويحلل لنا الدكتور زكى نجيب محمود جوانب كثيرة من حياتــه الفكرية تحليلاً يعد غاية فى الصدق والأمانة والموضــوعية. ونقــول إن حياة هذا الرائد العملاق تصلح أن تكون دليلاً لكل شبابنا فى هذا العــصر الذى نعيشه على وجه الخصوص . إن فى حياته الفكرية مجموعة مـــن الدروس التى تصلح أن تكون دستوراً لنا. إنه بذكائه الحاد يجاوز مرحلة التحصيل والحفظ إلى مرحلة النقد، وذلك منذ السنوات الأولى من حياتــه الفكرية. ولعل ما يدلنا ذلك تمام الدلالة، قوله: وصاحبنا منذ أوائل شـــبابه كان على يقظة كافية تحثه أن يرى ويسمع ويقرأ، فكان له بهذا كلـــه أن تجمعت لديه أفكار من هنا وهناك، تتفق أحياناً وتتعارض أحياناً، وقد كان يمكن أن يقف عند هذا الحد من التحصيل الذى يجمع ولا يعــرف كيــف ينتقى ويختار، وما أكثر ما تصادف بين الدارسين والقارئين من وقف عند عملية الجمع والتحصيل والحفظ، لكن صاحبنا بتوفيق الله قد وجــد فـــى تكوينه دوافع داخلية تدفعه إلى مجاوزة تلك المرحلة إلى ما بعدها، وأعنى

مراجعة المحصل مراجعة نقدية تقبل هذا وترفض ذلك وتعدل من ذلـــك حتى يحس بنفسه وقد اطمأنت لوجهة من النظر تـــستريح لهـــا، فتـــشعر وكأنما جاءت تلك الرؤية ثمرة طبيعية من إبداعها، وليست شيئاً غريبـــاً أقحم عليها (ص٢٢).

هذه العبارة تكشف لنا عن الفرق والفـــرق الـــدقيق بـــين المقلـــد والمجدد. فالمقلد يردد عادة مجرد ترديد الأفكـــار التـــى يقـــوم بحفظهـــا وتحصيلها من بين ثنايا الكتب التى يقوم بقراءتهـــا ، أو الأقـــوال التـــى يسمعها تتردد على أفواه الناس، أما المجدد فإنه يجاوز تلك المرحلة بحثاً عن الأفضل، بحيث لا يكون عالة على أفكار الآخرين . إن المقلد ينظـــر إلى أسفل، أما المجدد وهو الذى يقوم بعملية إعادة البناء، فإنه ينظر إلـــى أعلى. وفرق، وفرق كبير كما قلنا، بين من يلـــتقط الثمـــرة مـــن علـــى الأرض، وبحيث يكون عالة على الآخرين، وبين من يصعد بنفسه إلـــى الشجرة حتى يحصل على الثمرة. هذا ما نقول به باستمرار.

ويبين لنا مفكرنا كيف عاش حياته الواعية فى عالم الأفكار أكثر مما عاشها مع الناس. وحتى لا يساء فهم هذا الجانب، نرى الدكتور زكى

نجيب يقوم بتحليله وشرحه، وذلك من عدة جوانب من بينهـــا لأن دنيـــا الأفكار لا تقتضى العزلة الكاملة عن الحياة اليومية، والدليل علـــى ذلـــك اهتمام زكى نجيب بأداء الواجبات الاجتماعية وحرصه على إقامة الروابط بينه وبين الآخرين (ص٢٤).

ومن بينها أن الدكتور زكى نجيب لا يملك منع نفسه من محاولة "التعليل"، لأى شئ يلفت نظره فى ظواهر الحياة. إنه يبحث لكل ظـــاهرة سلوكية عما يفسرها، وهو بحث يتم أكثره فى صمت ويخرج أقلـــه إلـــى العلانية (ص٢٥).

ومن بينها، الرغبة الشديدة فى أن يعتصم بجدران بيته، وأن يوغل فينكفئ على دخيلة نفسه يجتر من مكوناتها ما عساه يطفو علـــى ســـطح الوعى من ذلك المكنون (ص٢٦).

والواقع أن الدكتور زكى نجيب محمود لم يسع يوماً إلى الشهرة. لم يسع إلى بريق المناصب. لقد أخلص للفكر إخلاصاً بغير حـــدود. وإذا كان قد عاش فى عالم الأفكار أكثر مما عاش مع النـــاس، إلا أن أفكـــاره

كانت وستظل هادية للناس طوال أجيال وأجيال. لم تكن عزلة سلبية، بل كانت عزلة إيجابية. عزلة ينبغى أن يتمسك بها كل من يتمـسك بدولـة الفكر. ومن يقف عند الصفحات التى حلل فيها رائدنا زكى نجيـب مـا يقصده بعالم الأفكار وعالم الناس، فإنه سيتعرف على الفـرق ، والفـرق الشاسع بين الفكر كما ينبغى أن يكون، وبين أناس لا يتكلمون إلا بحكـم مناصبهم، أناس لا يذكرهم الآخرون إلا بتأثير الدعاية والطبل الأجوف.

إن حياة الدكتور زكى نجيب لا تعنى الغربة عن الآخرين. استمع إليه أيها القارئ العزيز وهو يقول: (ص٢٧): " إن الوحدة العددية لمـن يعتكف ، وأعنى حين يكون الإنسان فى هدوء عزلته، لـيس بالـضرورة غربة يغترب فيها عن الناس وما يحيون به ويفكرون فيه، بل إنها كثيـراً ما تكون هى الفرصة الذهبية للاتصال بخيرة الناس يستمع إلـيهم فيمـا يقولونه شرحاً لأفكارهم وتعبيراً عن وجدانهم، وإنها لأفكار، وإنه لوجدان لم ينزع من خلاء، بل استصفاه واستقاه هؤلاء المؤلفون من صميم الحياة التى يحبونها فى دنيا الفعل والتفاعل".

ويذكر الدكتور زكى نجيب محمود مجموعة من الأعلام، مبينــاً قيمة الأدوار التى قاموا بها وذلك فى النصف الأول من القرن العــشرين. لقد كان هؤلاء الأعلام- فيما يقول- يجسدون بأشخاصهم وبأعمالهم روح هذا العصر الجديد. كل منهم فى جانب من جوانب تلك الروح، وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود يذكر هؤلاء الأعلام، فإنه يعطينا بذلك درساً فى الوفاء، وبياناً بأن المفكر لا يبدأ من فراغ . ويقينى أننا إذا أخذنا ذلك فى الاعتبار، فإنه سيتبين لنا تماماً أبعاد تلك المشروعات الوهميــة التــى ينسبها أناس إلى أنفسهم ويزعمون بأنهم بدأوا من فراغ، بــل إن هــؤلاء الأشباه أصحاب تلك المشروعات الزائفة يقومون بالهجوم على أعلام كبار دون أن يضعوا فى اعتبارهم أن هؤلاء الأعلام يمثلون الأصول. يمثلون الريادة الحقيقية، وسواء اتفقنا معهم أم اختلفنا. إن العبارة التى ســنوردها بعد قليل من كتاب حصاد السنين تكشف لنا عن حدة ذكاء زكــى نجيــب واطلاعه الواسع ورؤيته النقدية الفلسفية لقد استطاع الكشف عن أخــص خصائص فكر كل واحد من هؤلاء الأعلام. يقول زكى نجيــب محمــود (ص٣١-٣٢).لقد كان هؤلاء الأعلام يجسدون روح هذا العصر الجديد،

كل منهم من جانب تلك الروح: أحمد لطفى السيد بما ينادى به من وجود الحرية الفردية المسئولة، رجلاً كان ذلك الفرد أو امرأة، وطه حسين بما عمل على إشاعته فى النفوس من إزاحة التقديس عن حقائق التـاريخ... وعباس محمود العقاد بمجموعة دواوينه الشعرية، إنما قدم للناس تطبيقاً مجسداً للفردية المستقلة الحرة التى اضطلع لطفى السيد بالدعوة إليها فـى مجال السياسة، ويمكن القول كذلك بأن أمير الشعراء أحمد شوقى قدم إلى الأمة العربية شعراً يرسخ فى قلوبهم روح الانتماء القومى... ولئن كـان شعر العقاد تعبيراً عن الفردية فى وجودها السياسى فإن جماعة "أبولـو" التى تكونت فى أوائل الثلاثينات، حرصت على أن تمثل بشعر شـعرائها روح الفردية من جانبها الوجدانى الخاص، وهكذا نستطيع أن نجـد فـى روادنا من أعلام الجيل الماضى مرايا تعكس صورة العصر مـن شـتى جوانبه.

ويبين لنا الدكتور زكى نجيب محمود كيف كان الحوار فى تلـك الفترة بين روادنا وبين بعض رواد الغرب، وذلك حتى تكتمل الـصورة، فهو يقول (ص٣٢): لم تكن الروح التى طالبـت بـأن تهـدم الـصورة

الحضارية التى تعفنت بحلول هذا القرن، تقتصر علينا، بل العكس ربما كان أقرب إلى الصواب. إنها كانت قبل ذلك مشتعلة عند أعلام أوروبا من رجال الفكر والأدب، وجاءتنا نحن ومضات من ضيائهم، بما كان قد توطد من صلات بين رواد حياتنا الثقافية ورواد حياتهم هناك فى الغرب، إلا أن انعكاس الضوء على مرآتنا قد جاوز حدود الأصل ليثور على ذلك الأصل الوافد نفسه، كلما تعارض مع ركائز ثقافتنا، ومن هنا رأينا بين روادنا من شغل نفسه بالرد الرافض لما يكتب عبر البحر أو يقال، على غرار ما فعل الأفغانى فى " الرد على الدهريين "، والشيخ محمد عبده فى الرد على "هانوتو " ورينان" ، والعقاد فى الرد على كثير مما قاله مستشرقون كتبوا عن الإسلام والمسلمين. وإلى جانب هؤلاء الذين تأثروا بما كتب أو قيل فى الغرب وتولوا الرد عليه، كانت هنالك جماعة تتخذ أسلوبا آخر فى إيجاد التوازن الثقافى الذى يصون الهوية العربية الإسلامية حتى لا تنجرف مع تيار الفكر المنقول، تتمثل تلك الجماعة فى أفراد عرفوا كيف يكتبون بأقلام عربية قومية رصينة، مادة عربية

وإسلامية أصيلة، كالذى نراه عند مصطفى صادق الرافعى، وأحمد حسن الزيات، والشيخ عبد العزيز البشرى وغيرهم.

لقد ذكر زكى نجيب محمود هذه النماذج لكى يبين لنا كيف وقف فى شبابه الطموح وسط إعصار من رياح التجديد والتغيير.

وينتقل مفكرنا ورائدنا زكى نجيب محمود فى الفصل الذى جعل عنوانه " نار ونور " إلى الحديث عن معالم ثقافية أخرى، لم يكن إزاءها متأثراً فحسب بل كان مؤثراً، كان له دوره الحيوى والفعال بالنسبة لها. فهل يمكن أن ننسى نشاطه الكبير فى لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهى من أعظم لجان التأليف والنشر فى القرن العشرين وفى عالمنا العربى؟ لقد سعت إلى تحقيق الأهداف التى قال بها رفاعة الطهطاوى فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

وبشرح زكى نجيب هذه الأهداف الثلاثة، فهى تريد قناتين تنتهيان إلى ثالثة تغذيانها بما تحملانه من رحيق. والقناتان هما إحياء الماضى الذى يستحق الإحياء ونقل من ثقافة الغرب لما يستحق أن ينقل، فيكون الأمل المرجو بعد ذلك هو أن يتلاقى الغذاء آتياً من نفائس آبائنا من قناة

الإحياء، وآتيا من نتائج الغرب قديمه وحديثه علـــى الـــسواء مـــن قنـــاة الترجمة. فإذا صادف ذلك المركب الغذائى موهبة أبدعت جديـــداً بـــوحى مما استقبلته من هنا ومن هناك (ص٣٥).

فأين نحن الآن من هذه اللجنة الثقافية. لقد تحولت أكثر دور النشر فى عالمنا العربى إلى أدوات تجارية. تحولت إلى أدوات لنـــشر الفكـــر المظلم تحت تأثير الدولار. وسحر الدولار. أين نحـــن الآن مـــن الجهـــد الكبير الذى بذله أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهم أناس آمنوا بوطنهم، أناس أدركوا أهمية الفكر الجاد، ولم يكونـــوا كهـــؤلاء الـــذين انتشروا الآن فى عالمنا العربى ويقومون بالصراخ والضجيج، ويقولـــون عن أنفسهم إنهم من الشعراء، وليس بينهم وبين الشعر أية صلة من قريب أو من بعيد. يقولون إنهم ينتجون فكراً إبداعياً، فى الوقت الذى نجده فـــى حقيقته مجموعة من الكلمات المتقاطعة لا تصدر إلا عـــن أنـــاس بلغـــوا أقصى درجة من التخلف العقلى وبئس المصير.

يقول زكى نجيب محمود (ص٣٥): وهكذا أراد مؤسسو لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، وهو أن تنقل بالترجمة عن الغرب ما تختاره

من نتاجه وأن تقوم على نشر ما ترى نشره من التراث وذلك بعد تحقيقه، ثم تترك للمواهب المبدعة أن تؤلف من لدنها ما تثمره تلــك المواهــب، وكان أحمد أمين هو المهندس الأول الذى يضع المطبوعة الزرقــاء لمــا ينبغى أن تسير عليه خطوات البناء، فهو بحق طهطاوى القرن العــشرين فى مصر.

إن الفصل الذى كتبه زكى نجيب محمود تحت عنوان "نار ونور"، يصلح تماماً أن يكون سجلاً للحياة الثقافية فى مصر والعالم العربى فــى فتر ة من الزمان. إنه يعد سجلاً فكرياً من النادر أن نجد له مثــيلاً فــى الكتب التى اهتمت بتحليل الحياة الفكرية فى عالمنا العربى، ومصر على وجه الخصوص. فالصفحات من ٣٤ حتى ٤٦ تعد وثيقة مهمة تكشف عن الأوضاع الثقافية فى مصر، وصلتها بما يحدث فى أرجاء العالم، ومــدى تأثيرها فى أفكار رائدنا العملاق زكى نجيب محمود. إنــه ينظــر إلــى الأوضاع الثقافية من خلال رؤية نقدية، ويقارن بين تلك الأوضاع، ومــا يحدث فى الواقع.

وينتقل الدكتور زكى نجيب محمود فى فصل من فصول الكتـــاب بعنوان " منهج جديد " إلى بيان التفرقة بين فكر وفكر، بين منهج ومنهج. يحلل تحليلاً دقيقاً العديد من الألفاظ. ويقول مفكرنا فى عبارة غايـــة فـــى الدقة والروعة (ص٥٩) : " والسعى وراء مزيد مـــن المعرفـــة بطبـــائع الأشياء وحقائق المعانى، هو بمثابة الجوهر فى حركات التنـــوير. فكلمـــا زدنا أبناء الأمة إدراكاً للمعارف الصحيحة عن دنياهم، زدنا بالتالى "نوراً " وعكس ذلك هو الظلمة والظلام والظلم، نعم ، نعم إن " الظلم" صـــنو "الظلام"" لغة ومعنى. فإذا رأيت الظلم قد باض وأفرخ فى هذا الـــركن أو ذلك من أركان الوطن العربى، فاعلم أن علة ذلك هو أن عتامته قد حجبت " النور " عن الأفئدة لقلة ما يعرفونه ومع القلة جاءت كذلك أغشية مـــن ضباب الخلط والغموض، ومن أجل هذا قامت فى الناس حركات " التنوير " كلما دعت دواعيهاءولب. " التنوير " هو مزيد على مزيد مـــن معرفـــة صحيحة واضحة.

ويقينى أن من يتحدثون عن التنوير الآن يجب أن يـــضعوا فـــى اعتبارهم هذه العبارة الرائعة والدقيقة. ولو كـــانوا وضـــعوا ذلـــك فـــى

اعتبارهم، لما قالوا بعباراتهم الخطابية الإنشائية الفارغة من المضمون والتى لا صلة بينها وبين التنوير من قريب أو من بعيد.

ويواصل الدكتور زكى نجيب محمود حديثه عن رحلته الفكرية، ويقف عند كثير من المحطات الفكرية المهمة، ويكشف عن مدى تأثره بها، وتأثيره فيها. والواقع أن حديثه عن رحلته الفكرية فى كتابه حصاد السنين يعد جزءاً لا يتجزأ مما وجدناه فى كتابيه العظيمين: قصة نفسه، وقصة عقل. ومن هنا يكون من الضرورى لفهم أبعاد شخصية رائدنا ومعلمنا زكى نجيب محمود، الرجوع إلى كتابه حصاد السنين وبحيث يقوم المرء بدراسته مع كتاب قصة نفس، وقصة عقل.

بل إن كتاب حصاد السنين يعد تاجاً بالنسبة لبقية كتب زكى نجيب. إنه يوضح لنا العديد من الأمور التى لابد من معرفتها حتى ندرك الأهداف السامية والنبيلة والتى سعى إلى تحقيقها من خلال إقدامه على ترجمة ما ترجم، وتأليف ما ألف. إن كتاب حصاد السنين يعد وثيقة فكرية عظمى لا أكون مبالغاً إذا قلت بأننى لا أتصور مثقفاً عربياً دون دراسة هذا الكتاب دراسة واعية ودقيقة.

فأحداث مصر الفكرية وعلاقتها بما كان يدور فى العالم الغربى، ودور زكى نجيب محمود الخالد فى خضم هذه الأحداث، كل ذلك أصـــبح واضحاً تماماً بعد قيام الرائد والمعلم زكى نجيب بتأليف حصاد السنين.

لا نجد هذا واضحاً فحسب فى الفصول التى تحدثنا عنها ووقفنـــا عندها، بل نجده فى بقية فصول الكتاب وليرجع القارئ إلى حديثه الدقيق تحت عنوان " رؤية واضحة " (من ص ١٢٩ حتـــى ١٦٧). وتحليلـــه الدقيق لتيار الفكر تحت عنوان " مطالع النور " (من ص ١٦٨ حتى ص ٢٠٨)، وأيضا تصوره الدقيق لما ينبغى أن تكون عليه حياتنا الفكرية إذا أردنا لنفسنا طريق التقدم، وذلك من خلال العديد من الصفحات التى كتبها تحت عنوان " المطبوعة الزرقاء " (مـــن ص ٢٠٩ حتـــى ص ٢٤٧)، وتحت عنـــوان إرادة التغييـــر ، (مـــن ص ٢٤٨ حتـــى ص ٢٨٨)، والعناصر المكونة لثقافته، وكيف ينبغى أن تكون الثقافة تحت عنوان " فى سبيل الوضوح " (من ص ٢٨٩ – حتى ص ٣١٦) وتحـــت عنـــوان " خيوط تلاقت " (من ص ٣١٧ حتى ص ٣٤٣) وأيضاً تحت عنـــوان " رؤية موحدة " (من ص ٣٤٤ حتى ٣٨٥).

إن القارئ لهذه الفصول لابد وأن يقول لنفسه، إنها تعد بحراً على بحر، محيطاً على محيط، إنها لا تصدر إلا عن عبقرية فذة من النادر أن نجد لها مثيلاً. إن زكى نجيب يتحدث عن رحلته الفكرية الشاقة والمليئة بالأشواك والصخور، يتحدث عن كتبه وأفكارها الرئيسة، حديثاً غاية فى الدقة والسمو والشموخ. إن كلماته من خلال هذه الفصول التى أشرنا إليها لا تصدر إلا عن مفكر ملك زمام الثقافتين الشرقية والغربية. إنه يتحدث فى ثقة ويقين وواثق الخطوة يمشى ملكاً.

وهذه الخصائص نجدها أيضاً فى الفصول الأخيرة من كتابه تحت عنوان " نهاية الطريق " (من ص ٣٨٦ – حتى ص ٤٢٥). وأقول بأنه من الضرورى دراسة هذه الفصول دراسة واعية فاحصة ودقيقة. ويقينى أننا إذا حللنا هذه الفصول فإننا سنعرف تماماً مقدار البعد بين ما نزعمه من ثقافة فى الوطن العربى، والثقافة الرائدة فى العالم الأوروبى. سندرك تمام الإدراك أن أكثر من يطلقون على أنفسهم، ويطلق عليهم الناس لفظ " المثقف" ، إنما لا يعبرون فى كتاباتهم إلا عن الجهل والتخلف، ولكن ماذا نفعل أمام أبواب الدعاية والشهرة والطبل الأجوف.

إن زكى نجيب محمود من خلال صفحات كتابه، يعطينا الحلول لأكثر مشكلاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية، يدلنا على الرأى الصائب الذى نهتدى من خلاله إلى تحديد أوجه العلاج، والكشف عن أوجه القصور. يخوض فى العديد من القضايا بقلمه الجبار، وصوته الهادئ ومن بين هذه القضايا قضية الغزو الثقافى، قضية التقدم العلمى والأخلاقى، وغيرها من قضايا نجد حولها الكثير من الجدل حتى أيامنا هذه. يفرق بين المعرفة فى المجتمعات الديمقراطية، والمعرفة فى المجتمعات الديكتاتورية بين معرفة النور، وجهل الظلام.

ويختم رائدنا الذى احتل مكانة بارزة فى التاريخ الفكرى التنويرى، كتابه الرائع بعبارة إذا وقفنا عندها استطعنا التعرف على الأساليب الملتوية والتى من خلالها يحاول أشباه المثقفين، التأكيد للجمهور بأنهم من المثقفين، وذلك على الرغم من عدم وجود صلة بينهم وبين الثقافة من قريب أو من بعيد.

يقول زكى نجيب محمود (ص ٤٢٤ – ٤٢٥): ولا يقتصر فساد الموازين نتيجة لافتقار الجمهور إلى معلومات يستنير بها، على مجال

الحكم والسياسة، بل إن الضرر ليتسع حتى يكاد يـــشمل الحيـــاة العلميـــة والثقافية بأسرها. فعندنا وعند أمثالنا ممن ضحلت معلوماتهم الـــصحيحة فقل وعيهم بنفس المقدار، تكثر عملقة الأقزام، إذ ليس على القزم الطموح برغم جهله وقصوره إلا أن يستخدم وسائل الإعلام لصالحه فما أسرع ما يتحول فى خيال الجماهير وفى وهم الحاكمين إلى عملاق حتى يـــستطيع أن يكون عالماً بغير علمٍ، أديباً بلا أدب، أى شئ بغير شئ وتتصل بعملقة الأقزام عملية أخرى قد تستوجبها الظروف فيلجأ إليها القـــزم الطمـــوح، وهى عملية يجوز تسميتها كما أسماها صاحبنا ذات يوم فيمـــا كتـــب، " قرصنة فى بحر الثقافة " فالقراصنة يخطفون أموال ضحاياهم وبضائعهم لتصبح ملكاً لهم ، وكذلك يفعل قراصنة الثقافة فى حياتنا.

فليس المهم عند أحدهم أن يقوم هو بالعمل، بل المهم هو أن يضع عليه اسمه اغتصاباً ولو كان فى حياتنا وعى نقدى لأتاحوا للرأى العام أن يميز الطيب من الخبيث. همومنا الحـــضارية والثقافيـــة كثيـــرة وكـــذلك منجزاتنا وأمجادنا كثيرة، فكيف السبيل إلى جمع عناصر القوة فى كياننـــا

ورؤانا، مع التخلص من عوامل الضعف فى ذلك الكيان وهــذه الــرؤى لينشأ لنا العربى العصرى الجديد؟ هذا هو السؤال الذى حاول طوال حياته الفكرية أن يجد له الجواب.

هكذا يختم مفكرنا العملاق كتابه الرائد " حــصاد الــسنين " ولا يخالجنى أدنى شك فى أن هذه العبارة الأخيرة التى ختم بها كتابه العظيم تضع النقاط على الحروف، تكشف لنا عن أسباب انتشار أشباه المثقفــين فى مجتمعنا العربى. ولكن ماذا نفعل حين نجــد لــدينا محــاكم للغــش التجارى، ولا نجد أمامنا محاكم للتزوير أو الغش الفكرى.

إن غياب الحركة النقدية الدقيقة. قد ساعد انتشار هؤلاء الأشــباه. إنك تحسبهم من المثقفين وهم غير مثقفين. إنهم أشباه مثقفين. إنهم كائنات ناقصة مشوهة.

أقول وأكرر القول إن هذا الكتاب، كتاب حصاد السنين يصلح أن يكون دستوراً لنا فى حياتنا الفكرية. يعد مثالاً للسيرة الذاتية الفكرية ومــا ينبغى أن تكون عليه تلك السيرة... يعد قمة فى سمو الأسلوب، يعرض لنا من خلاله حياته الفكرية وما أعظمها وما أروعها ولم يستند زكى نجيــب محمود إلى شهرة منصب أو إلى بريق إعلامى. بل إنه فعل بنفسه ودون منصب، ما أدى به إلى أن يكون: زكى نجيب محمود.

بعض مراجع الكتاب:

بالإضافة إلى كتب زكى نجيب محمود ومقالاته والمشار إليها فى الكتاب، يمكن الرجوع إلى ما كتبناه عنه فى العديد من كتبنا ومن بينها.

١- العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر.

٢- ثورة العقل فى الفلسفة العربية.

٣- البحث عن المعقول فى الثقافة العربية.

٤- ثورة النقد فى عالم الأدب والفلسفة والسياسة.

٥- زكى نجيب محمود. مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العلمى التنويرى – مجلد تذكارى – إشراف وتصدير: عاطف العراقى.

بالإضافة إلى ما كتبناه عنه فى الكتاب التذكارى الذى صدر عنه بجامعة الكويت، والكتاب التذكارى الذى صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

هذا كله بالإضافة إلى مئات المقالات التى كتبناها عنه وعن فكره بالعديد من الدوريات والمجلات والصحف داخل مصر وخارجها من دول العالم العربى والعالم الأوربى، ومن بين تلك المجلات والصحف، مجلة

عالم الكتب، ومجلة أون، ومجلة الديمقراطية، ومجلة المنتدى، وجريدة الأهرام الدولية، وجريدة الأهرام بمصر، ومجلة الأزمنة بفرنسا.

كما توجد نصوص للعديد من المحاضرات التى ألقيناها عنه بالمنصورة ودمياط والقاهرة والإسكندرية وأسيزى بإيطاليا ، وصقلية، والفاتيكان... الخ.

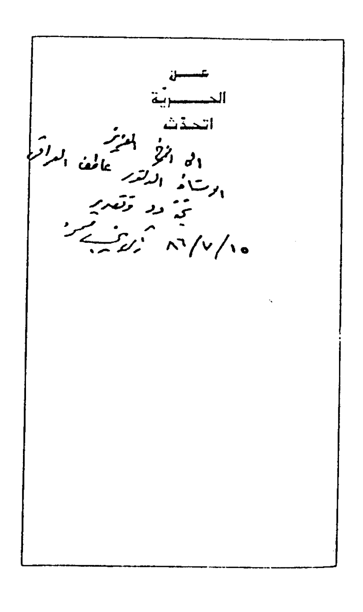
ويمكن الرجوع أيضاً إلى بعض الرسائل الجامعية عن مفكرنا، ومن بينها:

أثر الاتجاه التحليلى فى فكر زكى نجيب محمود للدكتورة نوران الجزيرى، والتوفيق بين الثقافتين العربية والإسلامية والغربية فى فكر زكى نجيب محمود للباحثة فوزية عيد موسى مرجى، والمصطلحات الفلسفية عند زكى نجيب محمود للباحث كورين حنة، والمفارقات المنهجية فى فكر زكى نجيب محمود للباحث أسامة الموسى، وتأثير الوضعية المنطقية على الفكر العربى الحديث من خلال زكى نجيب محمود الدكتورة نجوى حمادة، والجوانب الأدبية فى كتابات زكى نجيب محمود

للدكتورة نجوى عمر، والاتجاه النقدى فى فكر زكــى نجيــب محمــود، للدكتور علاء والى، والعقل ووظيفته فى فكر زكى نجيب محمود للباحثة فوزية عيد موسى مرجى.

وهذه الرسائل كان بعضها تحت إشرافنا والرسائل الأخرى تمت مناقشتها داخل بلدان العالم العربى، والعالم الأوربى.

شهادات وخطابات وذكريات
بين
زكي نجيب محمود وعاطف العراقي



عن

الحرية

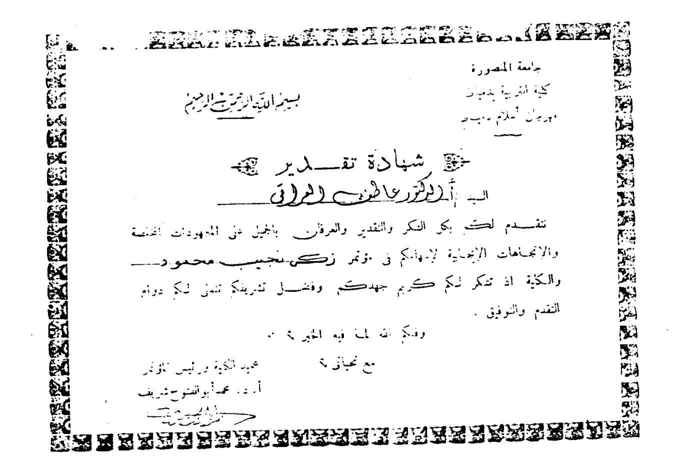
اتحدث

الى الأخ العزيز

الأستاذ الدكتور عاطف العراقي

تحية ود وتقدير

١٥/٧/٨٦ زكي نجيب محمود



جامعة المنصورة
كلية التربية بدمياط
مهرجان أعلام دمياط

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

السيد أ.الدكتور عاطف العراقي

تتقدم لكم بكل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل على المجهودات [illegible] والاتجاهات الإيجابية لإسهامكم في مؤتمر زكي نجيب محمود والكلية إذ تشكر لكم كريم جهدكم وفضل تشريفكم تتمنى لكم دوام التقدم والتوفيق .

وفقكم الله لما فيه الخير ،،،

مع تحياتي ،،

عميد الكلية ورئيس المؤتمر
أ.د. محمد أبو الفتوح شريف

جامعة المنصورة
كلية التربية بدمياط

شهادة تقدير

إن جامعة المنصورة وهي تحتفل بإقامة المؤتمر الثاني
لكلية التربية بدمياط ضمن برنامج مهرجان

أعلام دمياط

١-٣ أبريل ١٩٨٦ م

تمنح هذه الشهادة للمفكر والأديب الفيلسوف الأستاذ الدكتور

زكي نجيب محمود

ضيف المؤتمر

تقديرا منها لدوره الرائد ومكانته العلمية والفكرية

١٩٨٦/٤/١

عميد الكلية
أ.د/ محمد أبو الفتوح شريف

رئيس الجامعة
أ.د/ كمال أبو زيد كامل الحمر

بسم الله الرحمن الرحيم

نقابة الفنانين التشكيليين

شهادة تقدير

المؤتمر الأول لنقابة الفنانين التشكيليين فى ٧ فبراير ١٩٨٩

قرر مجلس النقابة منح شهادة تقدير

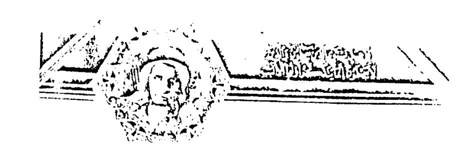
إلى السيد الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود

تقديرًا وإعزازًا لجهود سيادته فى دعم وتشجيع الحركة الفنية

وتنمية التذوق والقيم الجمالية فى المجتمع .

٩ فبراير ١٩٨٩

نقيب التشكيليين

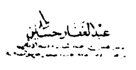


اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
جائزة سلطان العويس الثقافية

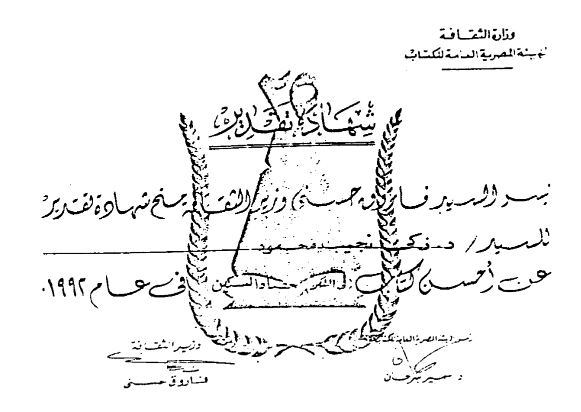
تقديراً للجهود في خدمة الثقافة العربية ، وتثميناً
لدور البارزين من أدباء ومفكري الأمة العربية يمنح
اتحاد كتاب وأدباء الإمارات بصفته الأمانة العامة
لجائزة سلطان العويس الثقافية هذه الشهادة إلى

الدكتور زكي نجيب محمود

وذلك لفوزه في حقل **الدراسات الإنسانية والمستقبلية**
بجائزة سلطان العويس الثقافية للعام ١٩٩٠ - ١٩٩١
بناء على قرار لجنة التحكيم المنعقدة في ١٣ / ١٢ / ١٩٩١



عبد الغفار حسين



وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

شهادة تقدير

يسر السيد فاروق حسني وزير الثقافة منح شهادة تقدير
للسيد / د. زكي نجيب محمود
عن أحسن كتاب في الفكر "حصاد السنين" في عام ١٩٩٢.

وزير الثقافة
فاروق حسني

رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب
د. سمير سرحان

إصـدارات الصالـون

- **سلسلة كتاب الصالون**
- هؤلاء المبدعون بين التكريم والبحث العلمى فـى صـالون أ.د. غازى زين عـوض الله – الطبعـة الأولـى ٢٠٠٢م – الهيئـة المصرية العامة للكتاب.
- ليالى الفكر العربى : إبداع وأبحاث وشهادات الرواد فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٣م – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكلمة وترسيخ الهوية فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- هؤلاء قالوا كلماتهم فى صالون أ.د. غازى زيـن عـوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٥م – دار هارمونى للطباعـة والنـشر – القاهرة .

- مدار الأفكار فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- روضة النبلاء فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- واحة العباقرة فى صالون د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.

– سلسلة المبدعين العرب:

- النجم فى مدار العشق – كيف نتذوق شعر فاروق جويدة ؟– الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م– مطبعة العمرانية – الجيزة.
- سمير سرحان – أمير فى مملكة الثقافة – عدد تذكارى – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- جمال بدوى – الوجه الجمالى للشخصية العربية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- النجيب .. محفوظ فى القلب– عدد تذكارى – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.

- هارون هاشم رشيد .. شاعر الغرباء .. بورتريه للوطن وأبجدية للهوية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- الفنان صلاح طاهر .. ألوان فى فضاء الجمال – الطبعة الأولـــى –٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- رائد التنوير زكى نجيب محمـــود : ذكريـــاتى الفلـــسفية والأدبية مع المفكر والإنسان- الطبعة الأولـــى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- **سلسلة كتاب المواهب :**
- لا تدخل هذه القلعة – ديوان شعر – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- Drops of Rain – Poetic Reflection Sarah Abu Zeid

سلسلة ترجمة الأدب العربى :

صدر منها بالفرنسية كتاب :

Arabesque Novelles Arabes

وصدر منها بالانجليزية:

THE CONTEMPORARY ARABIC SHORT FICTION

- سلسلة المذكرات :

- الحب والحرب بين الذكرى والذاكرة .. شهادة أسير خلال ثـورة التحرير مذكرات المناضل عبد القادر حجار.. الطبعـة الأولـى ٢٠٠٧م- دار الهاني للطباعة والنشر- القاهرة.

فهرست الكتاب